الفرق الإسلامية

تأليف

محمود البشبيشي
المدرس بمدرسة (دار العلوم)

الطبعة الأولى

١٣٥٠ هـ - ١٩٣٢ م

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد على بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

المطبعة الرحمانية بمصر
لصاحبها عبد الرحمن موسى شريف

مقدمة

تاريخ الفرق الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

﴿ وبعد ﴾

فلما رأيت أسماء بعض الفرق الاسلامية تدور كثيراً فى (علم الكلام) وليس بايدى الباحثين فيه كتاب مرتب مختصر يبين هذه الفرق ، استحسنت أن أضع فى هذا الموضوع (كتابا) يكون وسطا بين الايجاز والاطناب ، فى عبارة واضحة وترتيب يسهل معه البحث والاطلاع ، وقد اقتصرت على المذاهب التى لها أثر ظاهر فى تاريخ المسلمين ، وبدأت بذكر (أهل السنة) وإن لم يظهروا (كطائفة ذات قوة) إلا بعد تكون الفرق الأخرى ، لأنهم ينظرون فى مذاهب غيرهم من الفرق ، فمن حق القارىء أن يلم بتاريخهم قبل أن يعرض لتاريخ غيرهم .

وإنى ما ابتغيت إلا خدمة التاريخ الاسلامى بالقاء ضوء (كافٍ) على ناحية جليلة من نواحيه ، ورائدى فيما حاولته المصلحة العامة ، والقيام بواجب ، يدعونى الاخلاص أن أقوم به ، وما أزكى نفسى فيما أحاول ، وما أدعى الاتيان بما لم يأت به سواى ، ولكنى أقوم بواجبى ، وأنهض بقسطى

١

فحسب، يحدوني على ذلك حسن النية، وحب الخير، ولعل فى مجهودٍ تالٍ، يقوم به من أراد، فائدة أستفيدها، وهديا أستنير به، ولقد كانت ضالتى الحقيقة أنشدها والصواب أبتغيه والانصاف أسير على منهجه، ومرجعى فيما تناولت بحثه من المذاهب والنحل أحفلُ الكتب، وأصدق المراجع.

وقد عنيت كثيرا ببحث المسائل الخلافية (فى علم الكلام) وقارنت كثيرا من الآراء بعضها ببعض، وتناولت تاريخ (الخوارج) ببسطة فى القول، يتسع لها المقام فلم أغفل فيه الناحية الأدبية، إذ كان للخوارج منها حظ كبير، وألحقت بهذا البحث فصلا مناسبا فى معنى مذهبى الحلول والتناسخ وإبطالهما، فقد قال بهما بعض الفرق، وكان لهما من الخطر مايقتضى عناية خاصة.

هـذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة، إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله.

محمود على البشبيشى

لاتشوف سوى

ان هذا المؤلف لم يشرح الفرق ولكنه متعصب لفرقة ما لا غير

نحن نؤيد حكمكم هذا ونصح القارى بعدم الاستناد وتنبه بشدة فى قراءة كتاب كهذا مثل هذا محشو بالاغلاط والآراء السخيفة

منشأ الفرق الاسلامية

جاء القرآن الكريم يدعو العقول إلى النظر ، ويحثها على أن تفكر ، وتقيس حاضر الأمم بماضيها ، وأن تترفع عن التقليد الذى لا يجمل بالانسان ، ورفع صاحب الرسالة عليه الصلاة والسلام من قدر العقل فى مواطن كثيرة ، فاعتقد المسلمون بحق أن الاسلام لا يعادى العقل بل يماشيه إلى أقصى حد ، فلما انتقل النبى عليه السلام إلى الرفيق الأعلى ولحق به صاحباه (أبو بكر وعمر) طرأت على الناس مسائل عدة اقتضت منهم النظر وإجالة الرأى ففعلوا ، لا يرون عليهم فى ذلك إثما ولا حرجا ، جريا على سنة الدين فى مخاطبة العقول ، والتعويل على النظر

من تلك المسائل مسألة الخلافة ومن هو أحق بها (أهم آل البيت أم سواهم) ومسألة قتل الخليفة الثالث بدون حكم شرعى وما عرا الأمة إذ فاجأها ذلك الحادث من رجة فكرية عنيفة طاحت بالروية وذهبت بكثير من الأفكار مذاهب شتى : فقام قوم يطالبون بدم عثمان ، ونشبت الحرب بين سيدنا (على) والسيدة عائشة ، ثم قامت بين (على) ومعاوية حروب شعواء ، وتبع ذلك انشقاق جماعة (على) كرم الله وجهه بعد مسألة التحكيم فى الخلاف بينه وبين معاوية فى السنة السابعة والثلاثين للهجرة

وكان من الأسباب الباعثة على البحث والنظر والجدل بين المسلمين مسألة القضاء والقدر ، وهل الانسان مختار فى أعماله الأرادية أو مجبور عليها وهل مرتكب الكبيرة مؤمن أو غير مؤمن ، ومسألة البحث فى معنى ما أضافه الكتاب والسنة إلى الله من أشياء توهم شبهه بالحوادث كالفوقية

والاستواء على العرش، والوجه واليد والعين، أو صفات يشركه فيها خلقه (١) كالحياة والسمع والبصر والكلام ، ومسألة القول فى خلق (٢) القرآن الكريم أو قدمه ، ثم كان من المسلمين من تزيا بزى الاسلام وأبطن الكيد له ، حنينا إلى ملتهم الأولى (كعبد الله بن سبأ) فأوضعوا (٣) خلال المسلمين يبغونهم الفتنة ، وخبوا في مسائل الخلاف ووضعوا ، بل إن منهم من دس على المسلمين أحاديث كثيرة نسبها كذبا إلى الرسول عليه السلام ليوهن العقيدة ، ويَلْبِس على الناس دينهم ، ومنهم من استعان بالأحاديث يروج بها مذهبه ، ويقارع بها خصمه ، فكثر الوضع فى الحديث ، وزادت مسألة الخلاف اتساعا

ولما ترجمت كتب الفلسفة زمن (الرشيد والمأمون) وكان الخلاف فى مسائل علم الكلام المتقدمة بالغا أشده ، تعلم الفلسفة واشتغل بها قوم من المسلمين ، إما ليردوا بها على مذاهب الفلاسفة والدهريين القائلين بقدم العالم مثل (ديموقراط) وإما ليتقووا بها على مجادليهم من المسلمين ، وبدهى أن هذا يزيد الجدل والخصومة ، ويوسع مسافة الخلف

وفى خلال ذلك غلا بعض الطوائف التى ولدها الخلاف حتى ابتدعوا أقوالا خرجت بهم عن دائرة الاسلام كالقائلين بالحلول أو التناسخ من السبئية والحائطة من المعتزلة والقرامطة والباطنية

كل ماتقدم الاسباب من شأنه أن يولد الخلاف الذى يجر إلى تكون الاحزاب والطوائف، فكان من أثر ذلك تكون الفرق الاسلامية كالشيعة والخوارج

(١) هذا الاشتراك فى الاسم فقط

(٢) كانت هذه المسألة في زمن المأمون فالمعتصم فالواثق وكلهم كان معنيا بها وكانت فتنه شديدة أوذى فيها خلق كثير كالامام أحمد فلما تولي المتوكل رفع هذه المحنة وصرف الناس عن الخوض فيها

(٣) أسرعوا

والمعتزلة وأهل السنة ، والجبرية والمرجئة ، والمشبهة وغيرهم ، أما ماسبق ذلك من خلاف المسلمين على المكان الذى يدفن فيه الرسول، أو خلاف المهاجرين والأنصار على من هو من الفريقين أولَى بالخلافة ، أو الخلاف في محاربة مانعى الزكاة فلا يعد خلافا بالمعنى الذى يحدث افتراقا أو يولد عداوة وبغضاء

الحكم على تلك الفرق من الوجهة الدينية

قال ابن حزم[1] فى الملل والنحل ما ملخصه : (اختلف الناس فى هـذا الباب ، فذهبت طائفة إلى تكفير كل من خالفهم فى شيء من مسائل الاعتقاد أو الفتيا ، وذهبت طائفة إلى تكفير المخالف فى البعض ، وتفسيقه فى البعض الآخر ، وذهبت طائفة إلى أن من خالفهم فى مسائل الاعتقاد كافر ، ومن خالفهم فى مسائل الأحكام والعبادات ليس بكافر ولا فاسق ، ولكنه مجتهد معذور إن أخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران ، وقالت طائفة أخرى إن من خالفهم فى الاعتقادات كافر إن كان الخلاف فى صفات الله تعالى ، وإلا فهو فاسق ، وذهبت طائفة غير هؤلاء إلى أن المسلم لايكفر ولا يفسق بقول قال فى اعتقاد أو فتيا ، وأن من اجتهد فى شيء من ذلك فدان بما اعتقد أنه الحق فهو مأجور على كل حال . ثم قال (ابن حزم) والحق أن من ثبت له عقد الاسلام لايزول عنه إلا بنص أو إجماع ، وأما بالدعوى والافتراء فلا موجب لأن يكفر أحد بقول قاله ، مالم يخالف ماصح عنده أنه من كلام الله أو الرسول سواء أ كان ذلك فى عقيدة أو نحلة أو فتيا ، وسواء أ كان ذلك الذى خالفه من كلام الرسول الذى علم بصحته من المتواتر أو المجمع عليه أو من نقل الآحاد

(١) هو الامام على بن أحمد بن حزم الظاهرى الاندلسى توفى سنة ٤٥٦ هـ

غير أن مخالف الحديث المجمع عليه يقينا أدخل فى باب الكفر ولا حجة له ومجمع على تفكيره لمخالفته الاجماع الذى اتفق الجميع على معرفته.
ثم قال: وكذلك من قال بالتجسيم جاهلا، أو متأولا، فهو معذور ويجب تعليمه، فإذا قامت عليه الحجة من الكتاب والسنة فعاند فيهما فهو كافر.

وأما القائلون بحلول الله تعالى فى جسم من الأجسام، أو أنه شخص بعينه، أو أنه ستكون رسالة بعد رسالة خاتم النبيين فلا خلاف فى كفرهم لصحة قيام الحجة بكل هـذا على كل واحد، ولو أمكن أن يوجد أحد لم يعرف الحق فى هذا، ولم يبلغه قط خلافه لايكفر حتى تقوم عليه الحجة.

وأما تكفير الناس بما تؤول إليه أقوالهم فخطأ. لأنه كذب على الخصم ونسبته إلى قول مالم يقله.

فلا يكفر أحد إلا بنفس قوله ونص معتقده، ولا تثريب على أحد أن يعبر عن معتقده بعبارة يحسن بها قبحه لكن لا يحكم عليه إلا بمقتضى قوله فقط.

ومن جحد شيئا صح بالاجماع أن النبى أتى به فقد كفر، ومن استهزأ بنبى أو مَلَك أو آية من القرآن أو فريضة من الفرائض فهو كافر.

ثم أجمل (ابن حزم) القول فى هذا الموضوع فقال:

«إنه لايكفر أحد حتى تبلغه الدعوة، فان بلغته ولم يؤمن بها فهو كافر، فإن آمن بها ثم اعتقد ماشاء فى فتيا أو نحلة دون أن يبلغه حكم ذلك عن النبى عليه السلام فلا شىء عليه حتى يعلم الحقيقة، فان علمها وصح عنده مجيئها عن النبى عليه السلام فخالفها مجتهدا فيما لم يعرف فيه وجه الحق فهو مخطىء معذور مأجور، وان خالفه بالعمل معاندا للحق مع اعتقاده

خلاف ما يعمل فهو مؤمن فاسق ، وإن خالفه معاندا جاحدا بقوله وقلبه فهو كافر سواء فى ذلك العقائد والفتيا » . تم تلخيص كلام ابن حزم .

وجاء فى كتاب (الفرق بين الفرق) لأبى منصور [١] بن طاهر البغدادى ما ملخصه : —

(الصحيح أن السُّنّى الموحد هو الذى يعتقد حدوث العالم وتوحيد صانعه وقدمه وصفاته وعدله وحكمته ونفى الشبيه عنه ويعتقد بنبوة محمد عليه السلام وأنه رسول إلى الناس كافة وأن كل ما جاء به حق وأن القرآن منبع أحكام الشريعة وأن الكعبة هى القبلة فمن أقر بذلك لايشوبه ببدعة تؤدى إلى الكفر فهو مسلم موحد .

ويعد كافرا من قال بالهية الأئمة أو قال بالحلول أو التناسخ أو أباح محرما مجمعا على تحريمه كنكاح بنات البنين وبنات البنات أو حرم ما أباحه القرآن بالنص الذى لايقبل التأويل أو قال بنسخ الشريعة الاسلامية . اه

وهأنذا أشرع فى الموضوع مستعينا بالله فأقول :

إن الفرق الاسلامية الكبرى خمس : أهل السنة ، والمعتزلة ، والمرجئة ، والشيعة ، والخوارج . وبعدها طوائف عدة عرفت بأسماء تشير إلى مذاهبها كالجبرية (المجبره) والقدرية والمفوضة والمشبهة والمجسمة وهناك غير هذه طائفتا (الباطنية والقرامطه) ولهما صفة خاصة [٢] وإن كانتا تستقيان من منبع الشيعة الغلاه ، ومعظم هذه الفرق مشتق من الخمس الرئيسية أو خليط من رجالها كما سيتضح من إراد كل فرقة وما تنتحله من عقيدة .

---

(١) توفى فى اسفرايين سنة ٤٢٩ هـ

(٢) الكل مجمعون على تكفيرهم كما سيتضح من قراءة مذاهبهم الخاطئة

وقد انقسمت كل فرقة أقساما كثيرة على تباعد أو تقارب بينها فى التمسك بأصل المذهب الذى تنتحله ، عدا أهل السنة فانهم لم يفترقوا إلا يسيرا فى مسائل قليلة من العقائد أو طرق الاستدلال أو الحلال والحرام ، وليس فيما حدث من هذا تضليل ولا تفسيق ، ولأضرب لذلك مثلا هذه المسألة :

يرى (الأشاعرة) أن صفات الأفعال حادثة لأنها عبارة عن تعلقات القدرة التنجيزية الحادثة ويخالفهم (الماتريديه) أتباع أبى منصور الماتريدى الحنفى بقولهم إن صفات الأفعال هى (صفة التكوين) ، وهذه عندهم صفة قديمة قائمة بذات الله تعالى يكون بها الايجاد والاعدام (كالرزق والخلق مثلا) فهذا كما ترى خلاف . ولكنه خلاف لم يصدع عصا (الجماعة) ولم يفرق كلمتهم ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى انتهى إلى وئام وإغضاء وتضافر على رد ماخالف رأى (أهل السنة) من آراء فى فرق أخرى غالت فى القول ، وتفرقت شيعا يكفر بعضها البعض فى أكثر الأحوال .

وإليك كلمة فى تاريخ كل فرقة وبيان ارائها : —

١ — أهل السنة

رأس هذه الفرقة هو الامام (أبو الحسن على بن اسماعيل الأشعرى) ولد سنة ٢٦٦ هـ وتوفى ببغداد سنه بضع وثلاثين وثلثمائة كان أول أمره حنفى المذهب تلميذاً للجبائى المعتزلى ثم خالفه فى مسألة القول بوجوب الصلاح والأصلح على الله :

حكى أن (الأشعرى) سمع أستاذه (الجبائى) يقرر مسألة وجوب الصلاح والأصلح فقال . اتقول فى ثلاثة إخوة مات أحدهم مطيعا ومات

الثانى عاصيا ومات الثالث صغيرا ؟ فقال الجبائى الأول يثاب فى الجنة ، والثانى يعاقب فى النار ، والثالث لايثاب ولا يعاقب . فقال الأشعرى فأن قال الثالث لم أمتنى صغيرا ولم تبقنى حتى أكبر فأطيعك لأثاب فى الجنة ؟ فقال الجبائى : يقول الله إنى كنت أعلم منك أنك لو كبرت لعصيت فدخلت النار فكان الأصلح لك موتك صغيراً فقال الأشعرى فأن قال الثانى : يارب لم لم تمتنى صغيرا لئلا أعصى فأدخل النار فماذا يقول الرب ؟ فبهت الجبائى ومن ذلك الوقت تركه الأشعرى واشتغل هو ومن معه بأبطال آراء المعتزلة ، ووقف للدفاع عن العقيدة الاسلامية في وجه أرباب الآراء المضللة من الفرق الأخرى ، حتى قيل كان المعتزلة قد رفعوا رءوسهم حتى أظهر الله الأشعرى فحبسهم فى أقماع السماسم وقد شك فيه الناس أولا لأنه قريب عهد بالاعتزال ثم لم يلبثوا أن ركنوا إلى آرائه ، وكان ينهج منهجا وسطا بين مذهب الاعتزال المغالى فى نفى صفات الله وبين مذهب الغلاة فى إثبات الصفات (حتى أدى الأمر بطائفة من الناس إلى أن شبهوا الله تعالى بخلقه ، وقالوا بالتجسيم فى ذاته العلية) وانحاز إلى مذهب الأشعرى طائفة كبيرة من صفوة العلماء وناصروه ، منهم القاضى أبو بكر الباقلانى المكى ، وأبو الحسن بن فورك ، وأبواسحق الاسفرايينى ، وأبواسحق الشيرازى ، وأبو حامد الغزالى ، والفخر الرازى ، ومحمد بن عبد الكريم الشهرستانى وغيرهم ، فاعتنق الناس مذهب الأشعرى وسموه (رأى أهل السنة والجماعة) وانتشر مذهب الأشاعرة بالعراق ثم بالشام ثم بسائر ممالك الدولة الأيوبية التى كانت تعاضده ثم ببلاد المغرب على يد (ابن تومرت) الذى رحل إلى العراق وتلقى فقه الأشاعرة على الأمام (أبى حامد الغزالى) وعاد إلى بلاده فلقن المذهب الذى صار (بعد زمن) مذهبا شائعا فى تلك الجهات

وأهل السنة يقولون بصفات المعانى لا على الوجه الذى جر إلى التجسيم كما تقول المشبهة بل على وجه يليق بوحدانيته تعالى فلا يقال هي هو ولا هو هي ويقرون بالكتب السماوية والمعاد والحياة الأخروية وما فيها من صراط وميزان وجنة ونار لاتفنيان ونعيم لأهل الجنة دائم وشقاء لأهل النار مقيم، ويثبتون للعبد كسبا واختيارا فى أعماله الاختيارية لايخرجان به عما قدره الله وعلمه وأراده بحيث لايصير خالقا لأفعال نفسه فلا تأثير لقدرة العبد فى أفعاله الاختيارية، بل الكل مخلوق لله بلا واسطة، كما أن قدرة العبد مخلوقه له تعالى، وإنما للعبد اختيار وميل وقصد فى كل مايزاوله من الأعمال الاختيارية لا على أن ذلك يعد منه ايجاداً واختراعا وهـذا هو مايسمى بالكسب والاكتساب فأفعال العباد الاختيارية تتعلق بها قدرة الله تعلق الايجاد وقدرة العبد على وفق ارادته تعلق كسب، وليس للقدرة الحادثة تأثير بل لها مجرد المقارنة للفعل الذي يخلقه الله عندها لابها كما يخلق الاحراق عند مماسة النار للحطب، وقوله تعالى (فتبارك الله أحسن الخالقين) إنما هو من قبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز ونقل عن (الباقلانى) أن قدرة العبد أثرت فى فعله بما يجعله طاعة أو معصية والكل متفقون على افتقار العبد الى عون ربه وأن قدرة العبد لاتستقل بالتصرف، "وأن قدرة الله مرجع جميع الكائنات" فلا شيء سواها يستطيع إعانة العبد أو يحول بينه وبين ما يحاول، وقد عرفوا الشكر بأنه (صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق له)، وليست قدرة العباد إلا نعمة، أنعمها الله عليهم، فهم يصرفونها فيما خلقت له على حسب إرادتهم، مستمدين منه العون والسداد، فما يك من عمل أتوه فان مرده إلى الله الذى وهبهم القدرة وأمدهم بالمعونة، وفرق بين هذا وبين من يقولون باستقلال فى أفعاله وخلقه الحقيقي لجميع أعماله الاختيارية

إذ قول هؤلاء مخالف للآية الكريمة (والله خلقكم وما تعملون)

ومع أن جميع الافعال من الله لايحسن من باب الأدب أن ينسب اليه إلا الحسن قال تعالى (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك)

هذا ومما تقرر أن قدرة الله فوق كل قدرة فهى مرجع جميع الكائنات وإليها يفزع العبد إذا سدت فى وجهه المسالك ، وأعيته الحيلة ، ومن آثار قدرة الله مايحول بين العبد وبين غايته من العمل بعد أن يكون قد أخذ للعمل أهبته ، وعلم الله تعالى محيط بالعبد وما يقع منه بارادته وبما يقع من الأعمال وما يتخذ فى سبيلها من فكر وتدبير وأن عمل كذا يتم أو لايتم ، وفى أى وقت يكون ، وكون العمل خيراً أوشراً ، وليس ذلك العلم بقاهر للأنسان على سلوك خُطة معينة ولا بصارف له عن طريق يسلكه ، فلا جبر ولا إرغام ، (وكون مافى علم الله يقع لامحالة إنما جاء من حيث أنه الواقع والواقع لايتبدل)

ويقول أهل السنة أيضا برؤية الله فى الآخرة بلا كيفية ولا انحصار لورود صريح القرآن والسنة بذلك ولعدم إخلال الرؤية بتنزيه الله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) قال عليه الصلاة والسلام (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ليلة البدر) فالصراحة فى الآية والحديث واضحة ، ولا تتنافى الرؤية (كما قررها أهل السنة) مع تنزيه الله تعالى عن التحيز والجهة ومشابهة الخلق ، فليس هناك جهة ولا تحيز ، ولا بصر بالمعنى المعروف ، ولا إحاطة راء بمرئى ، بل الرؤية فضل من الله يعطيه من يشاء من عباده الذين أرضوه بالطاعات فأرضاهم بالرحمة والرضوان وبالتجلى عليهم يوم التناد بلا كيفية ولا انحصار على ما هو معهود في رؤية الأجسام

فيحار أولئك المقربون فيما يشملهم من العظمة والنور والجلال إذ ذاك فيذهل الواحد منهم عما عدا الله ، وهذا هو المراد بقوله تعالى (لاتدركه الأبصار)
ويقولون إن الايمان هو التصديق بالقلب والنطق باللسان أما العمل فشرط لكمال الايمان ، وصاحب الكبيرة إذا خرج من الدنيا ولم يتب من ذنبه فحكمه إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ، وأنه لا يجب على الله شيء أصلا فلا يجب عليه فعل الصلاح والاصلح إذ هو الفاعل المختار يتصرف فى ملكه كيف يشاء ، وان كان فعله جل جلاله ليس عبثا ولا يخلو من حكمة وان خفيت عن العقول وحجتهم أنه لو وجب عليه الصلاح (كالايمان المقابل للكفر) والأصلح (كتيسير المؤمن لنهاية الطاعات لينزل أعلى منازل الجنة) لكان مكرها ، وقد ثبت أنه تعالى مريد مختار لامعقب لحكمه وهو الحكيم فى فعله الخبير بمصالح خلقه ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

ويقولون ان بعثة المرسل جائزة فى حق الله لا واجبة عليه يرسلهم الله رحمة بعباده ليهدوهم الصراط المستقيم ، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل

وهم فى شأن الالفاظ المضافة الى الله فى الكتاب والسنة مثل الفوقية والاستواء والنزول الى سماء الدنيا والاصبع والصورة والوجه واليدين طريقتان احداهما طريقة السلف (وهم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين) ومؤداها تفويض المعنى المراد منها الى الله مع اعتقاد تنزيهه عن صفات الحوادث والأخرى طريقة الخلف (وهم من بعد السلف) ومؤداها تأويل معنى اللفظ الى ما يليق بمقام الألوهية ولايكون معه إيهام تشبيه بالحوادث مثال ذلك (يخافون ربهم من فوقهم) فالسلف الصالح يقولون فوقية لا نعلمها تليق بجلاله تعالى والخلف يقولون المراد بالفوقية الارتفاع والتناهي فى العظمة وهكذا الى غير ذلك من العقائد التى تكفلت بها كتب علم الكلام .

ووضعوا(١) علم الـكلام على دعائم من الادلة العقلية والنقلية حفظته الى الآن من محاولات المبطلين ، ولكن الأشاعرة أوجبو على الناس معرفة الأدلة التى تذرعوا بها الى اثبات العقائد ، فعندهم أن الجهل بالدليل يؤدى الى عدم المدلول ، ومضى الناس حقبة من الزمن على ذلك حتى قام نفر من أهل السنة كالغزالى والفخر الرازى وحللوا الناس من هذا القيد وقالوا قد يكون فى الدليل الذى تقرر عند الأشاعرة ضعف أو قد يوجد عند سواهم أقوى منه إذ قد تقتضى الأحوال تعديله أو تبديله تبعا لتطور العلم والمعارف فلا معنى للحجر على العقول ، وليستدلّ الناس على العقائد بما هداهم اليه المنطق والعقل السليم مادامت النتيجة رسوخ العقيدة وثبات اليقين .

٢- المعتزلة

أصل هذه الفرقة (واصل بن عطاء) الملقب بالغَزّال(٢) ولد فى سنة ٨٠ هـ ومات فى سنة ١٣١ هـ فى خلافة هشام بن عبد الملك وهم غلاة فى نفى الصفات الالهية فسموا من أجل ذلك (معطله) فيقولون مثلا إن الله سميع بذاته بصير بذاته لا بصفة ويقولون بالحسن والقبيح العقليين .

يريدون بذلك أن الشيء يجب فعله لما فى ذاته من الحسن ، ويجب تركه لما فى ذاته من القبح ، والأول يوجبه العقل والثانى يحيله العقل . وأهل السنة ينازعونهم فى ذلك لأن العقول تتفاوت فى درجة الحـكم على الاشياء لاختلاف الأمزجة وضعف قوى العقل كلها أو بعضها عند بعض الناس ولأنه كثيراً ما يتأثر الحكم بالمؤثرات الخارجة عن العقل كالمطامع

---

(١) وضع علم الـكلام الأشعرى ومن تبعه ، وأبو منصور الماتريدى ومن تبعه

(٢) لقب واصل بالغزال لانه كان يلازم حوانيت الغزالين

واختلاف البيئات ودرجة الثقافة قوة وانحطاطا ، فقد يرى العقل الكامل أن يصل الى السعادة بالجد والاستقامة واحترام الحقوق ، ويرى فى الوقت نفسه عقل آخر أن أسهل طريق لها العدوان على الغير وانتهاب ماليس فيه حق ، فالعقل وحده لايكفى لتبيين الحسن والقبح بل لابد من مرشد ينير أمامه السبيل ويعضده فى أداء واجبه وذلك المرشد هو نور النبوة الذى يفيضه الله على عباده تفضلاً منه ورحمة فيرسل به الرسل مبشرين ومنذرين

ويقول المعتزلة بوجود مرتكب الكبيرة فى منزلة بين الكفر والايمان وبخلود مرتكبها فى النار ويعدونه فاسقا لأنهم يقولون إن جميع الطاعات من الايمان.

أما جمهور أهل السنة فعلى أن الايمان هو (التصديق بالقلب) والنطق شرط لصحة الايمان أو لأجراء الأحكام الدنيوية ، وأبو حنيفة وبعض الأشاعرة على أن الايمان هو (التصديق والنطق معا) فالنطق على هذا شطر من الايمان ، وأما العمل فشرط لكمال الايمان على كلا الرأيين (١)

وبين من هذا أن مرتكب الكبيرة لايتجرد من الايمان وإن لم يكن كامل الايمان ، فمن مات ولم يتب من كبيرة ارتكبها فامره الى الله إن شاء

---

(١) والراجح عند أهل السنة أن الايمان يزيد وينقص بزيادة الطاعات اونقصها ، لقوله تعالى : (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا) والذى يقبل الزيادة يقبل النقصان (الا لعارض كعصمة الانبياء) ولقوله عليه السلام وقد سئل هل يزيد الايمان وينقص : (نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى يدخل صاحبه النار) ويرى جماعة منهم (أبو حنيفة) وأصحابه أنه لايزيد ولا ينقص وتأولوا أدلة الزيادة والنقص ، هذا والمعتمد أن الايمان والاسلام متلازمان شرعا (فكل مؤمن مسلم وبالعكس) ومتغايران لغة (كما هو واضح) ومفهوما (اذ الايمان تصديق وإذعان) ، و (الاسلام امتثال الأوامر والنواهي بناء على التصديق والأذعان) ، وقوله تعالى (لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) يؤول الاسلام فيه على الانقياد الظاهرى فقط ، والتلازم بين الايمان والاسلام المعتبر شرعا .

عفا عنه وإن شاء عذبه ثم هو غير خالد فى النار كالكفار .

ويقولون إن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية ، وقد أسلفت الرد عليهم فى الكلام على مذهب أهل السنة .

ويقولون إن أحدى الطائفتين من أصحاب الجمل[1] وصفين فى النار لايعينون واحدة ، وأهل السنة يؤولون التشاجر بين الصحابة تأدبا واحتراما لصحبتهم للنبى عليه السلام وحسن بلائهم فى نشر دعوة الأسلام واستبعاداً للهوى عن نفوسهم ، ويقولون الكل مجتهد ينشد مصلحة الأسلام والمسلمين وقال المعتزلة بخلق القرآن الكريم ، ويرد أهل السنة عليهم بقولهم إن الدلالات (وهى الألفاظ التى نقرؤها) حادثة لأننا نتلوها بألسنتنا ونكيفها بأصواتنا وهى فى حين القراءة قائمة بالحادث (ومعنى حدوثها أن الله خلقها وليس لأحد فى أصل تركيبها كسب ما) وأما مدلول القرآن (وهو الصفة النفسية القائمة بذاته تعالى) فقديم بلا جدال والفرق بين القراءة والمقروء كالفرق بين الذكر والمذكور فالذكر حادث والمذكور قديم ومع ذلك تورع كثير من العلماء ومنهم الامام (أحمد) عن القول بذلك حين أثيرت هذه المسألة زمن المأمون ومن بعده فلقوا من ذلك أذى كثيرا[2] . وفضلوا رحمهم الله الأذى على أن يقولوا بخلق القرآن حتى دلالاته لئلا يَنْجرَّ بعض الناس إلى اعتقاد خلق الصفة القديمة فأن كلام الله يطلق على الصفة القديمة

---

(١) أصحاب الجمل (على والسيدة عائشة وطلحة والزبير) ومن اشتركوا فى حرب الجمل وأهل صفين (على ومعاوية) ومن معهما

(٢) سجن (ابن حنبل) وضرب بالسياط حتى غشى عليه زمن المعتصم وفر البخارى وهو يقول (اقبضنى إليك غير مفتون) وسجن (عيسى بن دينار) عشرين سنة

القائمة بذاته تعالى ويطلق مجازا أو بالاشتراك على القرآن الذى نقرؤه ومن هنا تورعوا عن القول بخلقه .

وينكر المعتزلة (رؤية الله فى الآخرة) وقد تقدم الرد على هذا حين الكلام على أهل السنة كما تقدم الرد هناك أيضا على قول المعتزلة بوجوب فعل الصلاح والأصلح عليه تعالى .

ومن شيوخ المعتزلة (ابراهيم[(١)] بن سيار النظام) الذى يقول إن الأجماع ليس حجة ، وإن إعجاز القرآن إنما هو من حيث إخباره بالمغيبات فحسب ، وفاته أن من أهم وجوه أعجاز القرآن (على كثرتها) معانيه الرائعة وسمو عبارته وبلوغ أسلوبه درجة من الفصاحة والبلاغة والانسجام أعجزت عن مضاهاتها فطاحل العرب الذين نشئوا فى مهد البلاغة وتحداهم القرآن أن يأتوا بعشر سور مثله أو بسورة واحدة فحاولوا جاهدين ثم قعدوا عاجزين مأخوذين بروائع لفظ القرآن وبديع أسلوبه وسُمو معانيه وهذا دليل عظيم على أنه ليس من كلام مخلوق وليس من جنس أساليب العرب (التى اعتادوها وألفوا القول بها واستطاعوا التصرف فيها .)

ويقول بوجوب معرفة الله بالعقل قبل مجىء الشرع وهذا منه مبالغة فى حسن الظن بالعقل البشرى الذى يعجز فى كثير من الأحوال عن إدراك وجوه الخير والشر فى الأشياء الدنيوية العادية فكيف به فى الأمور الدينية وبخاصة فى معرفة الله تعالى على الوجه الذى يؤمن معه العثار وتصرح به الديانات ؟ ! بل كثيرا ما اهتدت العقول بهادى النبوات فعرفت الله تعالى ولما طال عليها الأمد انثنت سريعة إلى حظيرة الشرك وعبدت

(١) للأشعرى ثلاثة كتب فى الرد عليه ، وللعلاف المعتزلى كتاب فى الرد عليه فى بعض آرائه ، وللنظام آراء كثيرة خالف فيها أهل السنه وتوفى سنة ٢٢١ هـ

الأصنام وضلت ضلالا بعيدا فلو كانت وحدها مستعدة لمعرفة الله حق المعرفة لكان بقاؤها على معرفته بعد ما أرشدها الأنبياء أولى ولكنا شاهدنا ونشاهد خلاف ذلك كما فى أهل الفترة ، والدهريين والماديين من الذين عطلوا عقولهم وران عليهم الجهل وأخذهم زخرف التقليد .

ويقول (النظام) أيضا إن الله لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصى التى تقع من العباد وأنها غير مقدورة له وأهل السنة ينازعون فى ذلك لئلا يلزم نسبة العجز إليه تعالى ولكنهم يرون أن ينسب الخير إليه والشر إلى فاعله تأدبا فقط ، قال تعالى (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وأما قوله تعالى (قل كل من عند الله) فمن باب مراعاة الحقيقة فأنت ترى أن المعتزلة يربئون به تعالى عن نسبة الشر أصلا ، وأهل السنة يربئون به عن مظنة العجز .

ومن رءوس المعتزلة (أبو الهذيل محمد العلاف) كان مشتغلا بالفلسفة ومن شيوخ المعتزلة ومقدميهم ويرى أن كل عاص كافر لأن الطاعة عنده من الايمان وقد تقدم الرد على نحو هذا الرأى من آراء المعتزلة ، وله مقالة غريبة ، وهى زعمه أن حركات أهل الجنة والنار تنقطع حتى يصيروا إلى سكون دائم ثم لا يزالون مع ذلك فيما كانوا فيه فيتمتع أهل الجنة بنعيمها ويشقى أهل النار بعذابها ، ولا أدرى كيف يشعر بالنعيم أو الشقاء من فقد حركته وطال سكونه فكان كالمفلوج أو كالجماد ؟ !

ومن أقواله القول بجواز وقوع طاعات كثيرة من الناس لا يراد بها وجه الله (كما تقول بعض فرق الخوارج) وقد أظهرنا فساد هذا الرأى عند الكلام على تلك الفرقة الخارجة

ولمقالات (أبى الهذيل) وتطرفه فى بعض آرائه تعرض للرد عليه بعض أصحابه المعتزلة (فالمزدار) كتاب كبير فى فضائح (العلاف)

وتكفيره بما انفرد به من الضلالات ، و (لجعفر بن حرب) كتاب (توبيخ أبى الهذيل) أشار فيه إلى تكفيره

ومنهم (جعفر بن مُبشر) الذى يرى أن فى فُسَّاق هذه الأمة من هم شر من المجوس ، وأن صغائر الذنوب توجب تخليد صاحبها فى النار ، وهذا كما ترى زيادة فى التشدد وإيئاس من رحمة الله الذى يقول (لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم)

ومنهم (المزدار) وهو (عيسى بن صبيح) الملقَّب (براهب المعتزلة) لشدة تقشفه وزهده ، قال بخلق القرآن الكريم وغالى فى ذلك حتى كفر من قال بقدمه ، وقال أن من أجاز رؤية الله بالأبصار بلا كيف فهو كافر والشاك فى كفره كافر ، وقد بنيت قول أهل السنة فى رؤية الله وتقدم القول فى مسألة القرآن الكريم

ومنهم الحائطية المنسوبون إلى (أحمد بن حائط) أحد أصحاب النظام وقد قال فيما نقل عنه من الآراء بتناسخ الأرواح ، ولطول الكلام على التناسخ والحلول (الذى سيأتى ذكره فى الشيعة) أرجأت الكلام فيهما إلى إلى آخر الكتاب ، وقال أيضا بأن كل نوع من الحيوان أمة كالإنسان وفى كل أمة رسول من نوعه

ولا حجة (لأحمد بن حائط) فى قوله تعالى (وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرطنا فى الكتاب من شىء ثم إلى ربهم يحشرون) ولا فى قوله تعالى (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) فمعنى الآية الأولى أن جميع الدواب والطيور طوائف مختلفة مثل بنى آدم فى أنها ذات نُظُم معاشية ، وخطط تجرى على حسبها فى السعى على الرزق ، واتخاذ الحيلة لبقاء النوع ، وسلوك مسالك السداد فى حفظ أمورها بما ألهمها الله من غرائز ترعى بها مصالحها ، وتكف بها عوادى الباغى

على جماعاتها وتَخْتَطُّ أحسن الطرق لحياتها الاجتماعية ، وكل ذلك تقدير العزيز العليم ثم هي بعد ذلك تشمل الباغى الذى يسطو على أقوات غيره ويعتدى على حياته وذا الشوكة والذكاء الذى يرد كيد البغاة ، وينظم الأساليب لحياطة نوعه ، والمحافظة على كيانه كما يشاهد فى جماعات النحل ، وكل هذه الدواب والطيور سوف يلحقها الفناء بالموت ثم تحشر إلى بارئها ، فيقتص للضعيف من القوى حتى بلغ من عدله تعالى أن يأخذ للجمَّاء من(١) القَرناء ثم يستحيل الكل ترابا (وقيل معنى حشر الدواب والطيور فناؤها بالموت) أما أن تكون الدواب والطيور مثل الانسان فى احتمال أمانة التكليف والاستماع لشريعة سماوية يوحى بها إلى دابة أو طائر فمما لا يجوزه العقل سواء أكان من ناحية عدم استعدادها لقبول ذلك أم من ناحية عدم استعداد بعضها لتلقى الرسالة والدعوة إلى شريعة ذات قواعد وأصول، ولا قبل لها بذلك نعم قد وصفت الحيوانات بالذكاء وتفاوتت فيه ، ولكن ذلك عائد إلى الغرائز لا إلى العقل (الذى هو الشرط الأول فى التكليف وتحمل أعباء الشرائع) ، وقد منع أهل السنة أن تكون النبوة لغير الرجل فما بالك بدابة من دواب الأرض أو طير يسبح فى الفضاء ؟ وأما الآية الثانية فالمراد (بالأمة) فيها من سبق أمة نبينا عليه الصلاة والسلام من الأمم الغابرة كقوم عاد وثمود وقوم فرعون وسواهم ، كما يفهم من سياق الآية الكريمة وكما يبدو لكل ذى بصر بالقرآن الكريم ؛ فهى من قبيل ما يساق ليتأسى به النبى (عليه السلام) ولا تذهب نفسه حسرات على من عاندوا وضلوا وعموا عن نور الهدى ، ودعوة الحق ؛ فقديما دعيت أمم على لسان أنبيائها فضلت ؛ وقريب منها قوله تعالى (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) وقوله (فإنما عليك

(١) القرناء ذات القرن والجماء غيرها

البلاغ وعلينا الحساب) تأمل سياق الآية الكريمة فيما يأتى:
(ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه ، وإلى الله المصير ، ومايستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا الحرور ، وما يستوى الأحياء ولا الأموات ، إن الله يُسمع من يشاء ، وماأنت بمسمع من فى القبور ؛ ان أنت إلا نذير ، إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ، وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ؛ وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم ؛ جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبُر وبالكتاب المنير) تأمل هذا السِّياق ، وانظر قوله تعالى (وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم) مع قوله (فإنما يتزكى لنفسه) يتضح لك مافدمناه ويظهر لك خطأ (الحائطية) فى احتجاجهم بهذه الآية الكريمة مع بعدها الشاسع عما يحاولون .

وأما التجاؤهم إلى حديث (لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها) فلاصلة له بدعواهم فقد بين لك فى (شرح الآية الأولى) المعنى الذى يطمئن إليه العقل والذوق فى معنى (الأمة) فكل مافى الحديث الذى تمسكوا به الدلالة على رقة قلب النبي عليه السلام وكمال شفقته ، حتى على غير الإنسان ، وهل كون الكلاب (أمة) بالمعنى المعقول الذى أسلفناه يقتضى أن يكون لها رسل وأنبياء ؟ !

ومن المعتزلة (عمرو بن بحر الجاحظ[1]) الذى يقول بأن العباد لا يخلدون فى النار وإنما يصيرون من طبيعتها وأن الله لا يدخل العباد النار وإنما هى التى تجذبهم إليها . وماذا يقول فى قوله تعالى (ونادَوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون) فهل يريدون بدعائهم شيئا سوى أن يستريحوا من العذاب المقيم وهل معنى رده عليهم بأنهم ماكثون إلا أن العذاب لا ينفك عنهم وانهم باقون فى النار

(١) توفى سنة ٢٥٥هـ

النار

يصلون عذابهـا (لا يخفف عنهم وهم فيه مبلسون) (أى آيسون) وماذا يقول فى قوله تعالى (خذوه فاعتلوه[1] إلى سواء الجحيم). (يوم يدعون[2] الى نار جهنم دعًا) أليس معنى الآيتين أن يساق الكفار سوقا إلى جهنم. وهل يتفق هذا مع دعوى الجاحظ أنها هى التى تجذبهم اليها ؟

ويقول (الجاحظ) أيضا إن الله لا يريد المعاصى وهـذا شبيه بقول (النظَّام) إن الله لايقدر على المعاصى . ويحسن هنا إيراد هذه المحاورة ففيها الرد المقنع على دعوى الجاحظ

دخل القاضى (عبدالجبار بن أحمد المعتزلى) على (ابن عباد) وزير (المعز) وعنده الإمام (أبو إسحق الإسفرايينى) من أهل السنة فقال (عبد الجبار) سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال (أبو إسحق) سبحان من لايقع فى ملكه إلا مايشاء . فقال (عبدالجبار) أيريد ربك أن يعصَى ؟ فقال أبو إسحق أيعصَى ربك قهرا ؟ فقال (عبد الجبار) أرأيت إن منعنى الهدى وقضى على بالردى أأحسن إلى أم أساء ؟ فقال أبو إسحق إن منعك ماهو لك فقد أساء وإن منعك ما هو له فالمالك يفعل فى ملكه كيف يشاء ؛ فقال الحاضرون ليس بعد هذا جواب

وللجاحظ آراء أخرى لا ضرورة لسردها .

ومنهم أبو على (الجبائى) وكان يقول إن الله مطيع لعبده إذا فعل ما أراده العبد ، وهـذا أمر لا يليق إطلاقه على الله تعالى ، وإنما هو مستجيب لدعوة الداعى لا مطيع لأمره ، وقديما فرقوا بين مفهوم صيغ الطلب فان كان من الأدنى للأعلى سمى دعاء وإجابة الدعاء لا تعد طاعة بل قبولا وفرق بين الطاعة والقبول ، والجبائى كان أستاذا للأشعري .

---

(١) عتله جذبه بعنف (٢) يدفعون

وكان يقول بوجوب الصلاح والأصلح على الله تعالى وقد كان هـذا سببا فى انصراف الأشعرى عنه وتركه مذهب الاعتزال وتصدّره لتفنيد آراء المعتزلة مما جعله زعيم أهل السنة وواضعَ علم التوحيد كما تقدم

ومن المعتزلة (البَهشمية) أتباع (أبى هاشم عبـد السلام بن أبى على الجبائى) الذى يقول إن التوبة لاتصح من فعل قبيح إذا أصر التائب على فعل آخر يعتقد أنه قبيح ، ولا تصح التوبة من معصية مع الإصرار على منع حبة واجبة وأن توبة الزانى بعد ضعفه عن الجماع لا تصح (وهذا كله تشديد لم يقل به أحد) وإن الصلاة لا تجزىء فى الأرض المغصوبة . وطعن فى إعجاز القرآن الكريم .

هذا وأول من سماهم المعتزلة (الحسن البصرى المتوفى سنة ١١٦ هـ) لما حصل بينه وبين تلميذه (واصل بن عطاء) رأس المعتزلة ذلك الخلاف المشهور فى مسألة مرتكب الكبيرة هل هو مؤمن أو كافر ؟ وقال واصل لا مؤمن ولا كافر بل فى منزلة بين المنزلتين فقال الحسن (اعتزلنا واصل) فاعتزله من فوره وأخذ ناحية فى مسجد البصرة يلقن مذهبه الذى هو الأصل فى الاعتزال

والمعتزلة بوجه عام يقولون بقدرة العبد واستطاعته ولذلك يسمون أحيانا القدرية(١) ويقولون بنفى صفات المعانى فيقولون الله عالم بذاته قادر بذاته وهكذا فسموا من أجل ذلك (معطّلة) ويشددون النكير على مرتكبى المعاصى ، فيرون أن من مات غير تائب من كبيرة استحق الخلود فى النار ولكن يعاقب بأخف من عقاب الكافر ولا حجة

(١) لنفيهم القدر نسبوا إليه

للمعتزلة (فى دعواهم خلود صاحب الكبيرة فى النار) بقوله تعالى (إنه من يأت ربه مجرما فأن له جهنم لايموت فيها ولا يحيا ومن يأته مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلا جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جزاء من تزكى) فان المجرم فى هذه الآية وغيرها من آى الكتاب العزيز مراد به غير المؤمن أى (الكافر) فخلوده فى النار أمر مقرر عند جميع المسلمين وليس المراد به الفاسق من مرتكبي الكبائر ، بدليل قوله تعالى (إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين : فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) فوصف المجرمون فى هذه الآية بأنهم يقولون للمؤمنين (إن هؤلاء لضالون) يريدون أن المؤمنين ليسوا على حق فيما يعتقدون ، وهل معنى ذلك إلا أنهم مخالفون للمؤمنين فى الاعتقاد ؟ وذلك هو الكفر الصريح ؛ ثم إن مقابلة المجرمين (بالكفار) فى نهاية الاية دليل قاطع على كفرهم ، وقد حكى الله أوصاف المجرمين فى آية أخرى بقولهم (لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين) فهم كانوا غير مسلمين وكانوا يكذبون بيوم الدين حتى أتاهم اليقين (وهو الموت) وهذا أوضح الأدلة على كفر المجرمين وهكذا ترى القرآن الكريم جرى على التعبير عن الكفار بالمجرمين فى مواطن كثيرة ، وبذا ينقطع ما تمسك به المعتزلة من دعوى خلود أصحاب الكبائر فى النار

ويبالغ المعتزلة كثيرا فى حسن الظن بالعقل حتى جعلوه قادرا وحده على معرفة كل الحقائق وتعرّف وجوه الحسن والقبح فى الأشياء قبل

ورود الشرع فالحسن عندهم ما حسَّنه العقل والقبيح ما قبَّحه ، ويوجبون إرسال الرسل عليه تعالى

٣ - المرجئة

هم الذين يبالغون فى إثبات الوعد (عكس المعتزلة المبالغين فى إثبات الوعيد) يرجون المغفرة والثواب لأهل المعاصى ، ويُرْجِئُون حكم أصحاب الكبائر إلى الآخرة فلا يحكمون عليهم بكفر ولا فسق ، يقولون إن الايمان إنما هو التصديق بالقلب واللسان فحسب ، وإنه لا يضر مع الايمان معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة

ويقال إن أول من قال بالإرجاء (الحسن بن محمد بن الحنفية) ولكنه لم يؤخر العمل عن الايمان ، بل قال إن أداء الطاعات وترك المعاصى ليسا من الإيمان فلا يزول بزوالها ، وظاهر من هذا أنه لا يذهب مذهب المرجئة من كل وجه وقيل أول من وضع الإرجاء بالبصرة (حسان بن بلال المزنى) وقيل (أبو سَلت السمان) المتوفى سنة ١٥٢ هـ

ومن المرجئة طائفة الثوبانيه أتباع (ثوبان) المرجىء الخارجى الذى يقول إن الايمان هو المعرفة والاقرار ثم يقول أن الايمان فعل ما يجب فى العقل فعله (وهو هنا يقول بمذهب المعتزلة) ومن المرجئة طائفة (الضرارية) أتباع (ضِرار بن عمرو) الذى مع قوله بالأرجاء يقول إن الله تعالى يرى فى الآخرة بحاسة سادسه

وأنت خبير بما فى مذهب المرجئة من تفريط ، وما فى مذهب المعتزلة من أفراط ، وما فى مذهب أهل السنة والجماعة من اعتدال وتوسط . روى أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم (من هم المرجئة يارسول الله ؟ فقال

(هم الذين يقولون الإيمان كلام) أى أنهم لا يعيرون العمل أقل اهتمام ، وقد أسلفنا رأى أهل السنة فى العمل وأنه (شرط لكمال الايمان)

٤ ـ الشيعة

هم الذين شايعوا سيدنا عليا كرم الله وجهه ورأوه أحق بالخلافة وكرهوا أبا بكر وعثمان رضى الله عنهم كما كرهوا معاوية والسيده عائشة — أظهروا بدعتهم زمن عثمان وعلى رأسهم (عبد الله بن سبأ) وهو يهودى أسلم وغلا فى حب على حتى قال بالحلول فزعم أن روح الله حل فيه وأنه أحق بالخلافة لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فنفاه عثمان ، وقد غلا بعض الشيعة فى حب سيدنا على حتى قالوا له (أنت الإله) وقيل إنه أحرق منهم قوما ونفى رأسهم (ابن سبأ) إلى (المدائن)

وسمى الشيعة فيما بعد (روافض) لأن (زيد بن على بن الحسين) امتنع عن لعن الشيخين (أبى بكر وعمر) وقد طلبوه منه حتى يظلوا على نصرته وهو محارب لهشام بن عبد الملك ، فقالوا نحن ماخرجنا معك إلا لذلك ورفضوا رأيه وانفضوا من حوله فسمُّوا (روافض) وقيل لأنهم رفضوا رأى الصحابة فى الشيخين والمؤدَّى واحد وافترقت الشيعة على فرق شتى منها :

الزيديه — وهم يقولون بامامة (زيد بن على بن الحسين) ، ومنهم فرقة تسمى (الجارودية) أتباع (أبى الجارود) زعمت أن النبى عليه السلام نص على إمامة على بالوصف دون الاسم ، يشيرون بهذا إلى قوله عليه السلام يوم آخى بين المهاجرين والأنصار لسيدنا على (أنت منى بمنزلة هرون من موسى) وكانو يقولون كل من شهر سيفه ودعا إلى دينه من ولد الحسن والحسين فهو الأمام .

والأمامية — ويقول أكثرهم بأن الامامة فى على وأولاده بنص النبى عليه السلام وهم فرق شتى

والكيسانية — أتباع (كيسان) مولى (على بن أبى طالب) ويقولون إن (محمد بن الحنفية) حى لم يمت وأنه المهدى المنتظر، ومنهم كثير الشاعر الذى لخص مذهبهم فى قوله : —

ألا إن الأئمة من قريش ولاة العهد أربعـة سواء
على والثلاثة من بنيه هم الأسباط ليس لهم كِفاء
فسِبط سبط إيمان وبِر وسبط غيبته كربلاء
وسبط لا يذوق الموت حتى يقود الجيش يتبعه اللواء
تغيب لا يرى عنهم زمانا برَضوى عنده عسل وماء

يريد بالأخير (سيدنا محمد بن الحنفية)

والغلاة من الشيعة — قالوا بألوهية الأئمة واستباح بعض طوائفهم المحرمات وقالوا بمذهب الحلول (الذى سنعرض له بالرد آخر الكتاب)، زاعمين أن روح الله حلت فى الأئمة ومن هؤلاء (السبئية) أتباع (ابن سبأ) الذين قالوا إن (عليا) رضوان الله عليه حى لم يمت وزعموا أن الرعد صوته والبرق سوطه، وكانوا يقولون إذا سمعوا الرعد (وعليك السلام يا أمير المؤمنين) وأحدثوا القول برجعة (على) إلى الدنيا، وبرجعة (الرسول عليه السلام) بعد موته.

ومن الغلاة من زعموا أن روح الله دارت فى الأنبياء حتى صارت فى (بيان بن اسماعيل التميمى) وأصحاب هذا الرأى يسمّون (البيانيه) ويزعمون أن الإمامة صارت إلى (بيان) بعد (ابن الحنفية) بوصية منه فيقولون بتناسخ روح الله تعالى دون أرواح العباد، وقد صلب (خالد بن عبد الله القسرى)

والى العراق (بيانا) هذا

ومنهم (الجناحية) أنباع (عبد الله بن معاوية ذى الجناحين) كانوا يعتقدون أن روح الله دارت فى الأنبياء كما كانت فى على وأولاده وزعموا أن كل مافى القرآن من تحريم الميتـة والخمر ولحم الخنزير كناية عن قوم من أعداء (على)

ومنهم أيضا (المفوضه) ينسب إليهم القول بأن الله خلق محمدا عليه السلام وفوض إليه خلق العالم وتدبيره وقال بعضهم بل كان التفويض إلى (على كرم الله وجهه)

وأنت ترى فى مذهب الشيعة جميعا التعصب لسيدنا على وذريته وبغض الخلفاء من قبله وكراهة كل من ناوأه ومنهم من غلا فى حب (على) وبغض غيره حتى زلت به القدم ، فقال بالحلول والتناسخ — وسنذكر فيما بعد طائفتين من الغلاة هما (الباطنية والقرامطة ومن إليهم) ونبين مافى مذاهبهم من تطرف وزندقة وخروج على الدين .

هذا وقد تعصب لمذهب الشيعة دولة (آل بويه) التى قامت ببغداد سنة ٣٣٤ هـ ودولة الفاطميين التى ملـكت مصر سنة ٣٥٨ هـ وكانتا تدينان برأى الشيعة فسعتا في نشر دعوتهم ولقى الشيعة فى ظلال هاتين الدولتين حظا كبيرا فانتشر رأيهم لذلك العهد ببلاد المغرب ومصر والشام والعراق واليمن والحجاز ، ولا تزال لهم جمهرة كبيرة بالجهات الشرقية فى العراق وفارس وللزيدية منهم بقية كبيرة ذات سلطان ودولة فى بلاد اليمن وللإسماعيلية جمهرة كبيرة ببلاد الهند .

٥ – الخوارج

لما طلب (معاوية) وأصحابه في صِفِّين (١) من سيدنا (على) أن يتحاكم الفريقان إلى القرآن الكريم سنة ٣٧ هـ تردد سيدنا (على) في قبول دعوتهم غير مطمئن إلى ما قد تنطوى عليه من دهاء وحيلة يراد بهما تثبيط العزائم وتفريق كلمة جنده وأعوانه فحمله أصحابه على القبول، فقبله نزولا على رأيهم حتى لا يؤدى الرفض إلى الافتراق

روى (أن الأشعث بن قيس) و (مسعود بن فدَكى التميمى) و (زيد بن حصين الطائى) قالوا لسيدنا (على): الناس يدعوننا الى كتاب الله وأنت تدعونا إلى السيف! فلترجعن (الأشتر) عن قتال المسلمين أو لنفعلن بك ما فعلنا (بعثمان) فأمر (الأشتر) بالكف عن القتال بعد أن كان النصر معقوداً بلوائه، ثم أراد أن ينيب عنه في الحكومة (٢) (عبد الله ابن عباس) فلم يرضوا بذلك وقالوا (هو مِنك) وحملوه على بعث (أبى موسى الأشعرى) على أن يحكم بكتاب الله، ولما جرى الأمر على خلاف الحق رفض قبول حكم الحكمين، فخرج عليه فريق من أصحابه وقالوا لماذا حكمت الرجال؟ لا حكم إلا لله. فقال الامام (على) (كلمة حق يراد بها باطل، إنما يريدون لا إمارة ولابد من إمارة برَّة أو فاجرة) ثم لجوا في إنكارها وانحازوا إلى (حَروراء (٣)) في جمهرة عظيمة وأعلنوا بذلك خروجهم على (على ومعاوية) والحكمين وكل من رضى بالتحكيم، فكانوا هم نواة (الخوارج) وعنهم أخذ غيرهم فكانوا خطراً يهدد جماعة المسلمين، ووقعت بينهم وبين (على ومعاوية وابن الزبير وعبد الملك والمأمون) وغيرهم حروب

(١) موضع على شاطىء الفرات بقرب الرقه (٢) قضاء الحكمين (٣) قرية بظاهر الكوفة

شعواء. أتت على عدد كبير من المسلمين، وشرّدت فلول الخوارج فى الآفاق وهم مع كل هذه الحروب وذلك النكال كانوا أشد تمسكا بدعوتهم وبغضا لمخالفيهم، وعناداً فى القول، وصلابة في الرأى، واستبسالا فى القتال.

ولم يقف بهم هذا الخروج وتلك الثورة عند مخالفة (على ومعاوية) ومن والاهما، بل تطرق إلى العقائد يستخدمونها فى تكثير جموعهم، والتنفير من مخالفيهم؛ فكانوا يرون تكفير من عداهم، ووجوب الخروج على كل إمام جائر، ويعدون مخالفيهم كفاراً؛ بل غلا بعضهم فكفر أبناء المخالفين واستحل قتل النساء والأطفال؛ فالقوم كما ترى ثائرون على الجماعة يرون الحق فى جانبهم والباطل عند غيرهم. وبنوا على ذلك مذاهبهم الجامحة وتعرضوا فى هذه السبيل إلى كل محنة وكل نكال: من أسر وتقتيل، وتشريد واضطهاد؛ وهم مع ذلك أرضى ما يكونون نفوسا، وأسبق الناس إلى لقاء الموت، يحسبون الجنة تحت بروق السيوف، ويرون أنهم شروا آخرتهم بدنياهم حتى سموا أنفسهم (الشُّراة).

ومن عجب أن يكونوا فى المبدأ من الحاملين لسيدنا (على) على قبول التحكيم ثم تكون نتيجة قبوله عليه السلام سببا لهذا العداء الذى أظهروه له ولجُّوا فيه

وقد حاول سيدنا (على) أن يردهم إلى جماعته فأرسل إليهم (عبدالله بن عباس) ليناظرهم لعلهم يرجعون، فقال (ابن عباس):

ما الذي نقمتم على أمير المؤمنين؟ قالوا قد كان للمؤمنين أميرا فلما حكَّم فى دين الله خرج من الإيمان فليتب بعد إقراره بالكفر نعدْ له. فقال (ابن عباس) لا ينبغى لمؤمن لم يشب إيمانه شك أن يقر على نفسه بالكفر

قالوا إنه قد حَكَّمَ ، قال إن (الله) عز وجل قد أمرنا بالتحكيم فى قتل صيد الحرم فقال عز وجل (يحكم به ذوا عدل منكم) فكيف فى إمامة قد أشكلت على المسلمين؟ فقالوا إنه قد حُكِمَ عليه فلم يرض . فقال إن الحكومة كالأمامة ومتى فسق الإمام وجبت معصيته وكذلك الحكمان لما خالفا نبذت أقاويلهما . فقال بعضهم لبعض : لا تجعلوا احتجاج قريش عليكم فإن هذا من القوم الذين قال الله فيهم (بل هم قوم خصمون) وقال (لتنذر به قوما لُدًّا) . فأنت ترى من هذا أن القوم حريصون على دعوتهم لا يحيدون عنها وأنهم يمارون فى الحق بعد ما تبين لهم وأنهم تناهوا عن مناظرة (ابن عباس) حتى لا يفسد عليهم بحجته ما تطلعت إليه نفوسهم الجامحة من الخروج والثورة

وقد سلك معهم (سيدنا على) كل وسائل الإقناع والمسالمة رغبة فى جمع الكلمة ، وحاجَّهم بنفسه محاجة عظيمة ، فلم يرجع منهم إليه ممن بحروراء سوى القليل ، ومع ذلك أمسك عن مناوأتهم وقال لا أقاتلهم حتى يقاتلونى (وسيفعلون) وظل خارجا عليه بحروراء نحو أربعة آلاف ، وكان الإمام عليهم (عبد الله بن الكَوَّاء) وقال لهم متى كانت حرب فرئيسكم فيها (شبث ابن ربعى الرياحى) فلم يزالوا على ذلك يومين حتى أجمعوا على البيعة (لعبد الله ابن وهب الراسبى) ومضوا معه إلى النهروان (١) .

ثم قاتلهم (على) (بالنهروان) قتالا شديدا بعد ما قتلوا (عبد الله (٢) بن الخبَّاب بن الأرتّ) وبقروا بطن امرأته وطلب منهم

(١) كورة واسعة بين بغداد وواسط واسم لمدينة صغيرة فى الشمال الشرقى لبغداد واسم لنهر يشقها ، ولذلك تسمى موقعة (النهروان) أحيانا موقعة (النهر)

(٢) قتله الحرورية حين لقوه فى طريقهم الى النهروان وسألوه رأيه في الصحابة فخالفهم وكانت قتلته شنيعة والمصحف معلق بعنقه ، وامرأته حبلى (مقرب) أى قاربت الوضع

تسليم قاتله فقالوا كلنا قتله ، قيل إنه أفنى منهم فى حرب النهروان ثلاثة آلاف ، وكانت جموعهم قد كثرت فبلغوا اثنى عشر ألفا كلهم أهل صلاة وحدث فى خلال الحرب أن قتل رجل من الخوارج ثلاثة من أصحاب على وهو فى خلال ذلك يقول

أقتلهم ولا أرى عليا   ولوبدا أوجرته الخطيا[١]

فحمل عليه سيدنا (على) فلما خالطه السيف قال حبذا الروحة الى الجنة ، وهذه العبارة تدلك على مكان الاقتناع من نفوسهم ، ثم بعد وقعة النهروان آمر الخوارج أنفسهم وقالوا إن عليا ومعاوية قد أفسدا أمر هذه الأمة فلو قتلناهما لعاد الأمر إلى نصابه ، وقال واحد منهم والله ما (عمرو) دونهما وإنه لأصل هذا الفساد وأجمعوا أمرهم على أن يكون قتل الثلاثة فى ليلة واحدة وكان من نتائج المؤامرة أن قتل سيدنا (على) بيد (عبد الرحمن ابن ملجم) سنة ٤٠ هـ فقال فيه أحد شعراء الخوارج الصفرية عمران ابن حطان

يا ضربة من تقى ما أراد بها   إلا ليبلغ من ذى العرش رضوانا
إنى لأذكره حينا فأحسبه   أوفى البرية عند الله ميزانا

شجاعة الخوارج

كان الخوارج مضرب الأمثال فى الشجاعة والاقدام ، ولم تكن نساؤهم بأقل من رجالهم جرأة وشجاعة : روى أن امرأة من نسائهم تسمى (البلجاء) كانت فى أيام (عبيد الله بن زياد) جاءها مرداس[٢] بن حُدَير) ونصح لها

(١) أنفذت فيه الرمح

(٢) من رءوس الخوارج الصفرية

أن تأخذ بالحيطة والتَّقيَّة(١) لتأمن بطش الأمير فقالت (إن يأخذني فهو أشقى بي ، أما أنا فما أحب أن يُعنَّت(٢) إنسان بسببي) ثم قطع (ابن زياد) يديها ورجليها ورمى بهـا في السوق فمر بها أبو بلال (مرداس بن حدير) وكان ورعا يرى رأى الخوارج ويتحصن بالتقية والحذر وأمسك بلحيته وقال لنفسه (لهذه أطيب نفسا عن بقية الدنيا منك يامرداس)

ولو شئت واتسع لى المقام لجئتك بشيء كثير من أخبار حروبهم وشجاعتهم ولكن أكتفي بأن أقول : (أن تلك الحروب دلت على تفانى القوم فى عقيدتهم وعلى أن البسالة والتضحية ليستا قصرا على الرجال منهم دون النساء !!

وأليك قليلا من أمثلة ذلك :

روى أن أحد الخوارج طعن بالرمح فجعل ينزلق عليه ساعيا الى طاعنه وهو يقول (وعجلت أليك رب لترضى)

وأن (حوثرة الأسدى) خرج فيمن خرجوا على «معاوية» فتوسل (معاوية) له بأبيه أن يكف عن الخروج فأتى اليه أبوه بولده لعله يحنُّ فيعود فقال (يا أبت أنى الى طعنة نافذة أتقلب فيها على كعب رمح أشوق منى الى ولدى) فلما التقى الجمعان طلب منه أبوه أن يبارزه فقال يا أبت لك فى غيرى مندوحة ولى فى غيرك عنك مذهب . فقتله رجل من طيء فرأى أثر السجود قد لوّح جبهته .

وجيء إلى زياد بن أبيه (بعروة بن أديَّه) وهو أول من سل سيفا من سيوف الخوارج وكان قد نجا من (واقعة النهروان) وجيء معه بمولى(٣) له فسأله (زياد) عن أبى بكر وعمر فقال خيراً ، وعن (عثمان) فأحسن

---

(١) الاحتياط والحذر والتستر

(٢) يلقى مشقة وأذى وعنتا

(٣) خادم

القول فيه ست سنين من خلافته ثم شهد عليه بالكفر فيما بعدها ، وعن (على) فأحسن الرأى فيه حتى حَكَّم ثم أكفره وعن (معاوية) فسبه سبا قبيحا ثم سأله زياد عن نفسه فقال (أَوَّلَكَ لِزِنْيَةَ[١] وآخرك لدِعوة[٢] وأنت بعد عاص لربك) فأمر به زياد فضرب عنقه ثم دعا مولاه فقال صف لى أموره فقال أأطنب أم أوجز ؟ فقال بل أوجز فقال : ماأتيته بطعام بنهار قط ، ولافرشت له فراشا بليل قط[٣]

ويروى أن (عبيد الله بن زياد) تتبع الخوارج وحبس منهم أبا بلال (مرداس بن حدير) وكان فى أول أمره يأخذ بالتقية كما كان معظما فى الخوارج مجتهدا كثير الصواب فرق له السجّان لما رآه من حسن لفظه وشده عبادته فكان يطلقه بالليل على أن يعود له آخره ومضى على ذلك زمنا ثم رأى (ابن زياد) أن يقتل من فى سجنه منهم فأخرج السجان (مرداسا) جريا على عادته ثم بلغ مرداسا ماصمم عليه الأمير فتأهب للعودة إلى السجن فقال له أهله : اتق الله فى نفسك فانك إن رجعت قتلت . فقال إنى ما كنت لألقى الله غادرا ثم شفع له السجان (وهو أخو زياد من الرضاع) فنجا وكان له شأن ستعرفه فيما بعد

وأتى برجل من الخوارج إلى (عبد الملك بن مروان) فبحثه فوجده ماشاء فهما وعلما وأربا ودَهْيا[٤] فرغب فيه واستدعاه إلى الرجوع عن مذهبه فرآه مستبصرا محققا فزاده فى الاستدعاء فقال له لتغنك الأولى عن عن الثانية وقد قلت فسمعت فاسمع أقل قال له قل فجعل يبسط له قول

(١) زنى

(٢) ادعاء يشير إلي ادعاء معاوية له والحاقه بنسبه

(٣) يعنى أنه قائم الليل صائم النهار

(٤) المكر وجودة الرأى

الخوارج ويزين له من مذاهبهم بلسان طلق وألفاظ بينة ومعان قريبة فقال عبد الملك لقد كاد يوقع فى خاطرى أن الجنة خلقت لهم وانى أولى بالجهاد منهم ثم رجعت إلى ماثبت الله علي من الحجة وقرر فى قلبى من الحق فقلت له لله الآخرة والدنيا وقد سلطنى الله فى الدنيا ومكن لنا فيها وأراك لست تجيب بالقول والله لأقتلنك إن لم تطع فأنا فى ذلك إذ دُخِل على بابنى (مروان) باكيا لضرب المؤدب إياه[1] فشق ذلك على عبد الملك فلقبـل عليه الخارجى فقال دعه يبكى فانه أرحب لشدقه ، وأصح لدماغه وأذهب لصوته ، وأحرى ألا تأبى عليه عينه إذا حضرته طاعة ربه فاستدعى عبرتها فاعجب عبد الملك بذلك وقال له أما يشغلك ما أنت فيه عن هـذا ، فقال ما ينبغى أن يشغل المؤمن عن قول الحق شيء فأمر عبد الملك بحبسه وصفح عن قتله وقال لولا أن تفسد بألفاظك أكثر رعيتى ما حبستك ثم قال من شككنى ووهَّمنى حتى مالت بى عصمة الله فغير بعيد أن يستهوى من بعدى

بعض مفارقات الخوارج

وكان للخوارج مفارقات عجيبة فهم يفرقون فى المعاملة تفريقا مدهشا بين المسلم وغير المسلم فيستبيحون دم الأول ويحتفون بالثانى ، جاءهم مرة رجل مسلم فسألوه رأيه فى الصحابة من بعد عمر فلما لم يوافقهم سفكوا دمه ، وجاءهم فى نفس الوقت نصرانى فأكرموه وقالوا (احفظوا ذمة نبيكم) وروى أن « واصل عطاء[2] » أقبل فى رفقة من أصحابه فلما أحسوا الحرورية ذعروا منهم لشدة ما قذفوا من الرعب فى القلوب فقال (واصل) لأصحابه إن هذا ليس من شأنكم فدعونى وإياهم ثم سأله الخوارج ما[3] أنت وما

(١) قال من روى هذه القصة : فشق ذلك على عبد الملك . . . إلى آخرها

(٢) رأس المعتزلة

(٣) ماحقيقة مذهبك ومذهب أصحابك ؟

أصحابك؟ قال : مشركون[١] مستجيرون ليسمعوا كلام الله فقالوا (قد أجرناكم قال (فعلمونا) فجعلوا يعلمونهم أحكامهم وجعل يقول (قد قبلنا) قالوا (فامضوا مصاحبين فانكم إخواننا) قال (ليس ذلك لكم) قال الله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) فأبلغونا مأمننا فنظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا (ذلك لكم) ثم أرسلوا معهم من أبلغهم مأمنهم ، وليس لهذه المفارقات من سبب إلا إمعانهم فى بغض جماعة المسلمين ورسوخ هذا المبدأ في نفوسهم

شعراء الخوارج وخطباؤهم

وكان للخوارج شعراؤهم وخطباؤهم وإنك إذ تقرأ كلامهم تُحسُّ فيه قوة العقيدة ، وصدق الشعور ، والبعد من الرياء والتكلف ، شأن كل كلام يُصدره قائله عن يقين بما يعنيه ، وإخلاص فيما يقول :

فنهم (قطرى بن الفجاءة) الذى يقول مشيداً بذكر يوم (دولاب) من أيام حروب الأزارقة المشهورة : —

لعمرك إنى فى الحياة لزاهد ... وفى العيش مالم ألق أم حكيم[٢]

من الخفرات البيض لم يُر مثلها ... شفاء لذى بث ولا لسقيم

ولو شهدتنا يوم دولاب أبصرت ... فعال فتى فى الحرب غير ذميم

غداةَ طغت علْمَاءِ[٣] بكر بن وائل ... وعُجنا صدور الخيل نحو تميم

وظلت أُسود الأزْد[٤] فى حومة الوغى ... تعوم وظَلْنا فى الجلاد نعوم

---

(١) هم مسلمون ولكنها حيلة منه للخلاص من شرهم

(٢) زوجه

(٣) على الماء

(٣) قوم المهلب

فلم أر يوما كان أكثر مقعصا[١] يمج دما من قائظ[٢] وكليم

فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا تبيح من الكفار كل حريم

رأت فتية باعوا الاله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعيم

وهو الذي يقول مستحثا (لأبى خالد القنانى) وكان من قعد الخوارج يدعوه إلى اللحاق بهم : —

أبا خالد أقبل فلست بخالد[٣] وما جعل الرحمن عذرا لقاعد

أتزعم أن الخارجى على الهدى وأنت مقيم بين لص وجاحد ؟!

أنظر كيف كان نظره إلى خصمه ؟ فجعلهم ما بين لص وجاحد !! وكيف جعل القعود عن متابعة الخوارج كالقعود عن الجهاد فى سبيل الله ؟

ومن كلامه يشجع نفسه : —

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأهوال ويحك لن تراعى

فانك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذى لك لن تطاعى

وما للمرء خير فى حياة إذا ما عد من سقط المتاع

٢ - ومنهم (أبو خالد القنانى) المتقدم ذكره وهو الذى يقول رداً على دعوة (قطرى) مبديا عذره فى القعود : —

لقد زاد الحياة إلى حبا بناتى إنهن من الضعافِ

أحاذر أن يرين البؤس بعدى وأن يشربن رَنْقاغير صافِ

وأن يعْرَيْنَ إن كسى الجوارى فتنبو العينُ عن كرم عِجَافِ

٣ - ومنهم أبو بلال (مرداس بن حدير) الذى يقول : —

أَبَعْدَ ابن وهب ذى النزاهة والتقى ومن خاض فى تلك الحروب المهالكا

---

(١) مصرعا يضرب فيه المرء فيموت لساعته

(٢) ميت وجريح

(٣) فى الكامل (يا نفر) على أن (يا) للتنبيه ولا بأس بأن يوضع بدلها أقبل

أحب بقاء أو أرجى سلامة ... وقدقتلوا (زيد بن حصن) و(مالكا) ؟
فيارب سلم نيتى وبصيرتى ... وهب لى التقى حتى ألاقى أولئكا

ويقول أيضا فى السبب الذى حمله على الخروج بعد أن كان من القعد[١] الآخذين بالتقية : —

والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجرى علينا أحكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفضل ، والله إن الصبر على هذا لعظيم ، وأن تجريد السيف وإخافة السبيل لعظيم ، ولكننا ننتبذ عنهم ولا نجرد سيفا ولا نقاتل إلا من يقاتلنا

٤ — ومن شعرائهم أيضا (عمران بن حطان) الذى اختفى من وجه عبد الملك بن مروان حقبة طويلة من الزمن وكان كلما نزل بقوم انتسب اليهم نسبا يقربه منهم حتى إذا عرفوه رحل عنهم ، وهو الذى يقول فى رثاء (مرداس أبى بلال): —

ياعين بكّى لمرداس ومصرعه ... يا رب مرداس اجعلنى كمرداس
تركتنى هائما أبكى لمرزئتى ... فى منزل موحش من بعد إيناس
أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ... ما الناس بعدك يا مرداس بالناس

ويقول مخاطبا روح بن زنباع (من خاصة عبد الملك) وقد نزل عنده متخفيا ثم افتضح أمره فارتحل خفية وترك وراءه رقعة مكتوبا فيها : —

يارَوْحُ كم من أخى مثوى نزلت به ... قد ظن ظنك من لخم وغسّان
حتى إذا خفته فارقت منزله ... من بعد ما قيل عمران بن حطان
قد كنت جارك حولا ما تروعنى ... فيه روائع من أنس ومن جان
حتى أردت بى العظمى فأدركنى ... مايدرك الناس من خوف ابن مروان[٢]

(١) هم القاعدون الذين لايلحقون بالجيوش لعذر أو غير عذر

(٢) عبد الملك

فاعذر أخاك (ابن حطان) فان له   في النائبات خطوبا ذات ألوان
يوما يمان[١] إذا لاقيت ذا يمن   وإن لقيت معَدّيا فعدنانى[٢]
لو كنت مستغفراً يوما لطاغية   كنت المقدم فى سرى وإعلانى[٣]

وما زال ينتقل من قوم إلى قوم حتى انتهى إلى قوم من الأزد فمكث فيهم حتى مات

٥ – ومنهم (أبو حمزة يحيى بن عوف المختار الأزدى) وكان من نُسَّاك الاباضية وتنقل بين اليمن والحجاز والشام وقتل سنة ١٣٠ ﻫ وهو القائل من خطبة له بمكة . –

(يأهل مكة تعيرونني بأصحابى ! تزعمون أنهم شباب[٤] وهل كان أصحاب رسول الله إلا شبابا ؟ شبابٌ والله مُكتهلون فى شبابهم ، غَضيضةً[٥] عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجُلهم ، أنضاء[٦] عبادة ، وأطلاح[٧] سهر فنظر الله إليهم فى جوف الليل منحنية أصلابُهم على أجزاء القرآن ، كلما مر أحدهم بآية من ذكر الجنة بكى شوقا إليها ، واذا مر بآية من ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه) إلى أن قال (وأكلت الأرض ركبهم وأنوفهم وجباهم ، واستقلوا ذلك فى جَنب الله ، حتى إذا رأوا السهام قدفُوّقت[٨] ، والرماح قد أُشرِعَت[٩] ، والسيوف قد انتُضِيَت[١٠] ورعدت الكتيبةُ بصواعق الموت وبَرقت استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد

(١) منسوب إلى اليمن (٢) لأن عدنان أبو معد
(٣) لايرضى أن يستغفر له حتى بعد ما آواه حولا !!
(٤) شباب الأولى والثانية والثالثة جمع شاب والرابعة مصدر شب
(٥) مخفوضة والمراد مصروفة عن الآثام (٦) جمع نضو بكسر أوله وهو الهزيل المتعب
(٧) جمع طلح وهو مثل نضو (٨) ركبت فى القسى ليرمى بها
(٩) صوبت (١٠) استلت

الله ومضى الشباب منهم قُدُما حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ، وتخضبت بالدماء محاسن وجهه ، فاسرعت اليه سباع الأرض وانحطت إليه طير السماء فكم من عين فى منقار طير بكى صاحبها فى جوف الليل من خشية الله)

أسماء الخوارج

وللخوارج أسماء عدة منها (المحكمة الأولى) وهم أول طائفة خرجت على سيدنا على وقالوا (لاحكم إلا لله) ومنها (الشُّراة) لقولهم نحن شرينا(١) أنفسنا لدين الله ، أو شرينا الآخرة بالدنيا ، ومنها (الناصبة) لأنهم نصبوا العداء لسيدنا على وأقاموا عليه (والحرورية) باسم أول فرقة خرجت إلى (حروراء)

فرق الخوارج

هذا والخوارج بعد المحكمة الأولى فرق شتى منها :

١ — (الأزارقة) أتباع (أبى راشد نافع بن الأزرق) الملقب بأمير المؤمنين كان من أعلم الناس بفقه الخوارج ، وفرقتهم من أجلد فرق الخوارج وأصلبها عودا ، وأكثرها عددا ، وأطولها مدة ، وأكثرها أيام حرب وأشهرها مواقع ، وأشدها تطرفا ، وهم بعد (المحكمة الأولى) كقطب الرحى للخوارج كان خروجهم جهة الأهواز من فارس ثم انضم إليهم خوارج عمان واليمن وبلغ عددهم أكثر من عشرين ألفا وكان (نافع) يرى أن كل من خالفوه مشركون ويستحل قتلهم وقتل نسائهم محتجا بقوله تعالى (وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديَّاراً إنك إن

(١) بعناها ووهبناها لله

تذرهم يضلوا عبادك ، ولا يلدوا إلا فاجراً كفّارا) وهذا منه غلو عجيب وتحميل للآية الكريمة مالا تطيق ، فالآية قبل كل شىء فى سياق الكفار من قوم نوح ، ووصف الكفر أبعد ما يكون من جماعة المسلمين ، ثم لم يقف هو وفرقته عند ذلك بل قال الدار دار كفر (يريد دار المخالفين) إلا من أظهر إيمانه ، ولا يحل أكل ذبائحهم ولا تناكحهم ولا توارثهم ، ومن جاء منهم فعلينا أن نمتحنه، وهم ككفار العرب لا يقبل منهم إلا الاسلام أو أو السيف وكان هو وأصحابه يقيمون الحد على من يقذف المحصنات لا على من يقذف المحصن ، وكانوا يقطعون يد السارق فى القليل والكثير وتولى حربهم كثير من قواد العرب وكان أشدهم على الأزارقة (المهلب ابن أبى صفرة) شتت جموعهم وطهر الأرض من شرورهم، بعد حروب دامت نحو عشرين سنة وقد قتل نافع بن الأزرق فى إحدى وقائعها فتولى بعده (قطرى بن الفجاءة) ثم قتل فى واقعة بينه وبين سفيان بن الأبرد بشِعب من شعاب طبرستان سنة ٧٧ هـ ، وانتهت بقتله حروب الأزارقة واستراح الناس من شر مستطير . وقيل إن أول قائل باكفار القعد وامتحان المسلم عبد ربه الكبير، وقيل عبد ربه الصغير ، وقيل عبد الله ابن الوضين

هذا والمهلب تولى حروب الأزارقة أولا من قبل (عبد الله بن الزبير) ثم لما استتب الأمر لعبد الملك بعد قتل ابن (الزبير) أسند أمر الخوارج إلى الحجاج فأقر المهلب على حرب الازارقة فكان صاعقة عليهم وصارت له المنزلة العليا عند بنى أمية

قدم على الحجاج فأجلسه بجانبه وبالغ فى الحفاوة به ثم قال له : أنت والله كما قال (لقيط الإيادى) : —

وقلدوا أمرَكم لله دركمُ رَحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا
لا يَطعم النومَ إلا رَيثَ يبعثه هـمٌّ يكاد حشاه يَقصم الضِّلَعا
لا مُترَفا إن رَخاء العيش ساعده ولا إذا عضَّ مكروهٌ به خَشعا
لازال يَحلبُ هذا الدهر أشطرَه يكون متبعا طوراً ومتبعا
حتى استمرت على شزْرٍ(١) مريرتُه(٢) مستحكم الرأيِ لا قحْما(٣) ولا جزِعا

ومما يجمل ذكره هنا قول (عرهم) الشاعر ينصح (خالد بن عبد الله ابن خالد بن أسيد) والى البصرة بألا يرسل الى الأزارقة أخاه (عبد العزيز) وأن يرسل اليهم (المهلب). فمن حديثه: (إن الأزارقة ذُؤبان العرب وسباعها، وليس صاحبهم إلا المباكرَ المناكرَ المحرَّبَ(٤) المجرَّب الذى أرضعته الحروبُ بلبانها وذلك هو أخو الأزد (المهلب بن أبى صفرة) فلما لم يطاوعه وهزمت الأزارقة أخاه وسبوا زوجه وعرضوها للبيع قال يعرض بهذه الحالة: —

لعمرى لقد ناجيت بالنصح خالدا وناديتـه حتى أبى وعصانيـا
وقلت الحروريون من قد عرفتهم حمـاة كُماة يضربون الهواديا(٥)
فلا تُرسلنْ (عبدَ العزيز) وسرِّحَنْ(٦) إليهـم فتى الأزد الألدَّ المساميا
فتى لا يلاقى الموت إلا بوجهه جريئا على الأعداء للحرب صاليا

ب — و (الشبيبية) أتباع (شبيب بن يزيد الشيبانى) المكنى (بأبى الصحارى) وصاحب الحروب العظيمة مع (الحجاج) ذكر المؤرخون

(١) الشزر فتل الحبل من جهة اليسار (٢) المريرة الحبل. والمراد خلقه وشكيمته
(٣) القحم المسن
(٤) المغضب، أو المحدد تشبيها له بالسنان المحرب لمضائه وحدته وهو أشد لقتله
(٥) جمع هاد وهو العنق
(٦) أرسل

أنه قدم الشام مسالما وسأل (رَوح بن زِنباع) من خاصة عبد الملك أن يسعى فى أن يكون له مكانة فى الدولة فأنكره (عبد الملك) وقال أخشى أن يكون حروريا ، فقال ستعرفنى بعد هذا ، ثم جمع جموعه من الخوارج (الصالحية) بعد قتل زعيمهم[1] (صالح بن مسرّح) وناوأ بهم عبد الملك مدة طويلة وهزم له جيوشا كثيرة ، وانتصر على (عبد الرحمن بن الأشعث) وقتل من قواد عبد الملك (عتاب بن ورقاء) . وكان خروجه سنة ٧٦ هـ

وقد هاجم الكوفة وفى جيشه مائتان من النساء قد اعتقلن الرماح ، وتقلدن السيوف ، ونصب أمه (غزالة) على المنبر فخطبت ، فنسب اليه القول بأمامة النساء على المسلمين فصبر لهم الحجاج أولا فى داره ، ثم جمع جنوده وقاتلهم فشتت جمعهم ، فانحازوا الى (الأنبار) فلحقتهم جيوش الحجاج ، فهزمتهم إلى (الاهواز) ثم أرسل لقتالهم (سفين بن الأبرد) فلما كان على شط (دُجيل) بالاهواز ركب (شبيب) الجسر ليعبر فغرق وهو يقول (ذلك تقدير العزيز العليم) فأرسل الحجاج رأسه الى عبد الملك وبعد قتل (شبيب) تولت أمه (غزالة) أمر القوم وقد قتلت كما قتلت زوجه فى هذه الحروب ولما وقف أسارى جيشه بين يدى الحجاج همّ بقتل أحدهم فقال (أمهلنى حتى أقول كلمة) وأنشد

أبرا إلى الله من عمرو وشيعته ... ومن على ومن أصحاب صفين

ومن معاوية الطاغى وشيعته ... لا بارك الله فى القوم الملاعين

حـ (والنجدات) أتباع (نجدة بن عويمر[2] الحنفى) ومن آرائهم أن من كذب كذبة صغيرة أو نظر نظرة صغيرة وأصر عليهما فهو مشرك — ومن شرب الخمر أو زنى أو سرق غير مصر على ذلك فهو مسلم إذا كان يدين

(١) أتباع صالح بن مسرح من بنى امرئ القيس قيل هو أول من خرج من الصفرية وكان ناسكا مصفر الوجه لكثرة عبادته يقيم أرض الموصل (٢) وقيل (ابن عامر)

بدين (نجدة) (أى برأيه فى الخروج) وكان خروجه باليمامة (من أرض نجد) زمن عبد الملك يبغى بخروجه مساعدة الازارقة فلما علم أنهم يكفرون القعد انصرف عنهم وكفرهم بما قالوا ـ ثم حاول دخول (المدينة المنورة) زمن عبد الله بن الزبير ولكنه عدل عند ذلك لما رأى استعداد أهلها لقتاله وأسر جارية من ذرية عثمان بن عفان فطلبها عبد الملك منه فاشتراها ممن هى معه وردها فنقم منه أصحابه ذلك التساهل وانتقضوا عليه وقالوا رددت جارية لنا على عدونا ، فذهب فريق منهم لمساعدة (الازارقة) وهم (العطوية) أتباع عطية بن الاسود الحنفى وذهب فريق آخر إلى مناوأة (نجدة) نفسه حتى قتلوه وفريق النجدات بالنظر إلى أصل مؤسسه فريق متساهل جدا إذا قيس بالازارقة ولا يفوقه إلا الاباضية

د ـ (والعجاردة) : أتباع عبد الكريم بن عجرد وهو من أتباع عطية ابن الاسود الحنفى المتشق على نجدة بن عويمر ويخالف العجاردة نافع بن الازرق فلا يرون استحلال أموال مخالفيهم إلا بعد قتلهم أما فى غير الحرب فلا يستحلونها . ويقولون بأن الطفل برىء حتى يبلغ الحلم ، فاذا بلغ وجبت دعوته إلى الاسلام أو يصفه هو من تلقاء نفسه وقد انقسم العجاردة إلى فرق منها (المعلومية والمجهوليه) (والحمزية) . (والثعالبة) وإليك كلمة موجزة عن هذه الطوائف :

فالمعلومية : ـ يقولون ان من لم يعرف الله بجميع أسمائه جاهل به ، والجاهل به كافر .

والمجهولية : ـ قالوا من عرفه ببعض أسمائه فقد عرفه وكفروا المعلومية لما ذهبوا اليه

والحمزية : ـ هم أتباع « حمزة بن أدرك » الذى عاث فى الارض فسادا

جهة « سجستان » و « خراسان » وما والاهما وكان فى نهاية القسوة اذا ظفر بقوم يحرق أموالهم ويقتل نساءهم، خرج زمن الرشيد سنة ١٧٩ هـ وظل صدرا من خلافة المأمون ثم حاربه « طاهر بن الحسين » ففرق جموعه بعد أن فنى من الفريقين قرابة ثلاثين ألفا جلهم من رجال حمزة، ولشدة ما عرف به من القسوة لم يرحم « طاهر » من وقع فى يده من جنوده ولا من ظفر به ممن يقول برأيه من القعد غير المحاربين، فقد جاء بثلثمائة من هؤلاء وربط كل واحد منهم بين شجرتين قد ضم رأس كل منهما إلى رأس الاخرى ثم أمر بقطع الروابط بين كل شجرتين فذهبت كل واحدة بشطر من الرجل المعلق فيها. وهذا بلا شك قسوة وبطش كبير ولكن الامعان فى الافساد وفتنة المسلمين أكبر منه عند الله على أن طاهرا لم يستأصل شأفة (حمزة) فقد فر ثم قاتله من بعده عبد الرحمن النيسابورى وبدد البقية الباقية من رجاله وجرح « حمزة » ففر ومات فى هروبه واستراح الناس من شره وصار لأهل نيسابور فضل بهذه الموقعة

وأما الثعالبة : — فهم أتباع ثعلبة بن مشكان كان أولا مع العجاردة ثم خالفهم ثم انقسمت فرقته ستة أقسام يخالف بعضها بعضا منها « الاخنسية » الذين حرموا القتل والاغتيال سرا و (الشيبانية) الذين ساعدوا أبا مسلم الخراسانى، فى حرب « الثعالبة » المخالفين لهم وأعانوه على حرب بنى أمية فكفرهم الخوارج لموالاتهم (أبا مسلم)

ومن الخوارج (الميمونية) أتباع (ميمون بن عمران) من (العجاردة) وله أقوال تلحقه (باليزيدية)، فقد نسب إليه إنكار أن سورة (يوسف) من القرآن ومعلوم أن منكر بعض القرآن كمنكر كله فى الكفر والمروق من الدين

وكان يقول فى أفعال العباد قول المعتزلة ويكفر أصحاب الذنوب كما يقول جمهور الخوارج

ويقول بشىء لعله تلقاه عند المجوسية (١) وهو إباحة نكاح بنات الاولاد وبنات أولاد الاخوة وأولاد الأخوات

هـ — ومن الخوارج «الصفرية» أتباع زياد بن الأصفر ولهم مع عبيد الله بن زياد حروب شعواء، وهم على العموم فى الاعتقاد كالازارقة غير أنهم لا يستحلون قتل النساء والأطفال وكانوا يوالون عبدالله بن وهب الراسبى ، وحرقوص بن زهير» من رءوس المحكمة الأولى - ويقولون بولاية (أبى هلال مرداس بن حدير) بعدهما ثم بامامة (عمران بن حطان) بعد ما قتل مرداس (٢) وينسب إليهم :

طائفة (البيهسية) أتباع «أبى البيهس» الذى يقول أن صاحب الكبيرة لا يحكم عليه بالكفر حتى يحده الحاكم وكان فى زمن الحجاج وقتل بالمدينة وصلب وطائفة أخرى ترى أن وصف الكفر لا يقع إلا على مرتكب ذنب ليس فيه حد معين وأن من حد فى بعض الذنوب خارج عن الايمان وغير داخل فى الكفر فهى كما ترى أميل إلى التسامح من غيرها

و — ومن الخوارج طائفة (الاباضية) أتباع عبد الله بن أباض خرجوا زمن (مروان (٣) بن محمد) ومن مذهبهم أن مخالفيهم كفار نعمة فقط تجوز مناكحتهم وموارثتهم — واستحلوا من أموالهم الخيل والسلاح

(١) هم الثنوية من الفرس يقولون باصلين يدبران العالم النور والظلمة ويسمون النور إله الخير والظلمة إله الشر وهم فرق منها الزرداتشية والمانوية والمزدكية

(٢) هو (أبو بلال مرداس بن حدير) هذا وينسب الى الصفريه صالح بن مسرح صاحب شبيب بن يزيد الشيبانى

(٣) ووقع بينهم وبينه قتال فى (تباله) بلدة باليمن استهان بها الحجاج حين ولى عليها فقيل فى المثل (أهون من تبالة على الحجاج)

وكانوا يردون لهم الذهب والفضة ، إذا غنموها ومن الأباضية طائفة تجمع على إخراجها من الاسلام تلك هي طائفة (اليزيدية) أتباع يزيد بن أبي أنيسة القائل بنسخ الشريعة الاسلامية بنبي يبعث من الفرس . وهو في هذا صنيعة المجوس كما لا يخفى ، وإلا فلماذا خص نبيه المزعوم بالفرس دون غيرهم ؟! ومن عجب أنه مع كفره هذا كان يتولى من نطق بالشهادتين مبالغة منه في في المكر والخديعة ومن فرق الأباضيين (أصحاب طاعة لا يراد بها طاعة) يزعمون أنه يصح أن تصدر من العبد أعمال صالحة لا يريد بها وجه الله ، ولا ينوى بها طاعة ، وهذا كقول « أبي الهذيل العلاف » من غلاة المعتزلة واذا صح أن يصدق على « النظر الأول[1] » الذى ينظره المرء ليتوصل به إلى معرفة الله « وهو أول واجب على المكلف » فلن يصح فى أعمال يقوم بها مشرك[2] لا يبغى بها طاعة ولا قربة من الله فان مدار الأعمال على النيات والمشرك بلا شك لا ينوى بعمله طاعة الله وإذاً فلا طاعة له ، والنية للأعمال كالروح للأجساد

هذا وللخوارج فرق أخرى معظمها مشتق من الفرق المتقدمة وأرى أن أجتزىء[3] عنها بما تقدم عملا بالاختصار الذى أخذت نفسى به أول هذا البحث

نظرة اجمالية فى الخوارج

كانت الخوارج فئة واحدة حتى عام ٦٤ هـ ثم انقسموا بعده إلى طوائفهم المذكورة بعد ويرجع الخلاف بينهم إلى تشدد (نافع بن الازرق) فى الحكم على مخالفى الخوارج كما يتضح لك مما يأتى : —

---

(١) نظر الانسان إلى نفسه وغيرها من خلق الله للاستدلال على وجود الله
(٢) وكذا سائر الكفار (٣) اكتفى

(١) فالأزاقة (وهم غلاة الخوارج) يرون ما رآه نافع بن الأزرق من تكفير أعدائهم ووصفهم بالاشراك وكذا القاعدون عن اللحاق بهم ممن يقولون برأيهم ويتخذون التقية وكانوا يتبرءون منهم ومن أولادهم ، ويستحلون ماالهم ويقتلون أولادهم

(٢) والأباضية : يرون أن مخالفيهم كفار نعمة فقط تجوز مناكحتهم والتوارث معهم وتجوز شهادتهم

(٣) والصفرية : كالأزارقة إجمالا غير أنهم لا يرون قتل الأطفال والنساء ولا يرون حرجا على (القعد) فكانت جمهرتهم قعدا .

(٤) النجدات : وكانوا يكفرون من يكفر القعد ومن يقول بامامة نافع ابن الأزرق

ومن الخوراج طوائف أخرى كالعجاردة وفروعها ، وقدسبق الكلام عليهم ، وقد انقرض الخوارج إلا طائفة من الاباضية تقيم جهة (عمان) وفى جزيرة جربه تجاه (تونس) وفى جنوبى الجزائر

هذا — ويجمع الخوارج على وجوب الخروج على الإمام الجائر حتى إنهم ساعدوا عبد الله بن الزبير وليس منهم لما رأوه خارجا على يزيد بن معاوية لاعتقادهم الجور فى يزيد ، وظلوا معه حتى مات يزيد وانجلى جيشه عن المدينة ثم بعد ذلك سألوا ابن الزبير ليتحققوا رأيه فى نحلتهم[1] فلما وجدوه مخالفا لهم تركوه وذهبت جمهرتهم إلى البصرة وطائفة منهم إلى (اليمامة) بنجد .

كما يجمعون أيضا على إكفار الحكمين ومن رضى بحكمها حتى إنهم أقروا على أنفسهم بالكفر إذ أقام عليهم ابن عباس الحجة ثم قالوا انا تائبون ، وهم

(١) وكان قد أوهمهم أنه معهم يستعين بهم على يزيد

يرون إكفار على ومعاوية وعثمان وأصحاب الجمل، أما التكفير بارتكاب المعاصى فلم يجمعوا عليه فنهم من قالوا إنما يكفر من ارتكب معصية ليس لها عقوبة محدودة فى القرآن فأما مالها حد مخصوص كالزنا والقتل فلا يكفر فاعلها بل يوصف بما ارتكبه كالسرقة والزنا والقتل وقال أصحاب عبد الله ابن إباض إن صاحب الكبيرة كافر نعمة لا كافر دين وهم جميعا يبرءون من الكاذب ومن ذى المعصية الظاهرة

إن من يقرأ تاريخ الخوارج ليتردد كثيرا قبل الحكم عليهم والجزم بسبب خروجهم، والباعث لهم على فتنتهم لكثرة ما فيهم من المتناقضات وقد اختلفت أحكام المؤرخين فى أمر هذه الطائفة من المسلمين التى أوقدت نار الحرب حقبة من الدهر انسحبت على عهد على ومعاوية وبنى أمية وصدر الدولة العباسية فانا لا نستطيع أن نرميهم بالكيد للاسلام والعمل على اضعاف المسلمين، فهم عرب خلّص لا يقال فيهم ما قيل فى بعض الشيعة الغلاة من الترويج لديانتهم القديمة والسعى لاعادة دولهم التى أزالها الاسلام، نعم ان طائفة (اليزيدية) التى تنتمى إلى (الاباضية) من الخوارج قالت إنه ستنسخ شريعة الإسلام بنبى يبعث من الفرس آخر الزمان وطائفة (الميمونية) أنكرت سورة يوسف وأحلت ما حرم الله، ولكن هذه شرذمة قليلون بالنسبة لجماعة الخوارج التى ملأت العراق وفارس وخراسان واليمامة وبلغت جيوشها الألوف المؤلفة ولم يكن منهم إلا متنطع فى دينه، متشدد فى عبادته مغال فى حدود الله، ان قوما يكفرون العصاة لبعيد أن يوصفوا بالكيد للاسلام

ولعل قائلا يقول ان القوم مدفوعون إلى خصومة على كرم الله وجهه بدسيسة من أعدائه وهنا موضع الحيرة والتردد، فانهم كانوا يذمون عليا ومعاوية

وكل من لاذ بهما ، بل كانت عباراتهم عن معاوية أشد وأنكى ، ثم إنهم بعد ما آمروا أنفسهم على قتل على ومعاوية وعمرو وأقفر ظاهر الأرض من أبى الحسن ظلوا يناصبون معاوية العداء وظل معاوية ومن خلفه يجردون عليهم الجيوش إثر الجيوش حتى شتتوا جموعهم وقضوا على جرثومتهم

نعم ان فكرة التحكيم كانت سببا لصدع عصا الفريق العلوى وايقاع العداوة والبغضاء بينهم ولكن العقل لا يطمئن إلى أن يكون القوم مسوقين إلى الفتنة باغراء معاوية ، ودهاء (ابن العاص) لا سيما بعد ما كانا هدفا لسهامهم فى المؤامرة التى طاحت بسيدنا على وفدت عمرا بخارجة ولم تقض على معاوية

٣ـ ولا يمكن أن يكون قبول (على) التحكيم هو السبب فى فتنتهم فقد قرأت محاجة (ابن العباس) لهم وفرارهم من الحق بعد ما تبين لهم ويجمل بى أن أعرض عليك مناظرة أخرى دارت بينهم ، وبين على ليستبين لك وجه الصواب فيما أقول :ـ

لما اجتمعوا بحروراء وناظرهم (ابن عباس) فلم يرجعوا ذهب إليهم سيدنا على فناظرهم وكان على رأسهم (ابن الكواء) فكان مما قاله لهم :ـ

« أتعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم إنها مكيدة وَوَهْن وأنهم لو قصدوا إلى حكم المصاحف لم يأتونى ثم سألونى التحكيم أفعلمتم أنه كان منكم أكره لذلك مني ؟ قالوا اللهم نعم . قال فهل علمتم انكم استكرهتمونى على ذلك حتى أجبتكم اليه فاشترطت أن حكمهما نافذ ما حكما بحكم الله عز وجل فإن خالفاه فأنا وأنتم منه برآء وأنتم تعلمون أن حكم الله لا يَعْدُونى ؟ قالوا اللهم نعم . ثم قالوا حكَّمْت فى دين الله برأينا ونحن مقرون بأنا قد كفرنا ونحن تائبون فأقرر بما أقررنا وتب ننهض معك الى

الشام(١) قال أما تعلمون أن الله جل ثناؤه قد أمر بالتحكيم فى شقاق بين رجل وامرأة فقال (فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها) وفي صيد أصيب في الحرم كأرنب يسارى ربع دينار فقال عز وجل (يحكم به ذوا عدل منكم) فقالوا إن (عمراً) لما أبى عليك أن تقول فى كتابك هذا ما كتبه عبد الله (على) أمير المؤمنين محوت اسمك من الخلافة وكتبت (على ابن أبى طالب) فقال لهم رضى الله عنه لى برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حيث أبى عليه (سهيل بن عمرو) أن يكتب (هذا كتاب كتبه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو) فقال لو أقررنا بأنك رسول الله ما خالفناك ولكني أقدمك لفضلك ثم قال : اكتب (محمد بن عبد الله) فقال يا على امح (رسول الله) فقلت يارسول الله لانسخو نفسى بمحو اسمك من النبوة فقال عليه السلام (قفنى(٢) عليه) فمحاه بيده ثم قال (اكتب محمد بن عبد الله) ثم تبسَّم لى عليه السلام . وقال (يا على أمَا إنَّك ستُسَام مثلها فتعطى(٣))

ومع كل هذه الحجج الدامغة لم يرجع معه إلا القليل .

فلو كان قبول التحكيم هو السبب فى الخروج لما كان لهم بعد هذه المناظرة مَعْدًى عن الرجوع

ولا نعتقد مطمئنين أن القوم مدفوعون بعواطف الشهوات والغايات فانهم أهل عبادة ونسك وإن قول قطرى بن الفجاءة فى أم حكيم :-

لعمرك إنى فى الحياة لزاهد ... وفى العيش مالم ألق أم حكيم
من الخفِرات البيض لم ير مثلها ... شفاء لذى بث ولا لسقيم

(١) أى لقتال معاوية (٢) ضع يدى عليه لأنه عليه السلام كان أميا

(٣) سيطلب منك مثل ما طلب منى فتقبله - وهذا من باب إخباره بالغيب الذى حققه الواقع

ليس فيه شيء يخدش من عفاف قطرى فان أم حكيم زوج لقطري ومن حقها عليه أن يخبرها ببلائه فى حرب كحرب دولاب وأن ينوه باسمها فى شأن المعارك الشداد . أليست هى التي كانت تحمل على الفرسان وتقول : —

أحمل رأسا قد سئمت حملَهُ ... وقد مللت دَهنه وغَسْلَهُ

ألا فتى يحمل (١) عني ثقلَهُ ؟

وقد يكون خروج امرأة فى زى الرجال لتثأر (لنافع بن الأزرق) ومبارزتها الفرسان دليلا على بسالة الخوارج (نسائهم ورجالهم) لا على صلة سيئة بينها وبين نافع ، ولا غرو فقد كان فى جيش (شبيب) مائتان من النساء تقلدن السيوف وأبدين فى الحرب شجاعة الرجال ، وقادت غزالة جيش ولدها شبيب بعد مصرعه وأبدت من الشجاعة ماحير الرجال

ففكرة أن القوم مدفوعون الى ثورتهم بعامل الشهوة فكرة بعيدة الاحتمال. ولا يستطيع المنصف أن يقول أنهم خرجوا طمعا فى الملك والامارة لأن بعضهم لقب بأمير المؤمنين ؛ فان هذا اللقب لم يثبت أن من لقب به انتحله لنفسه قهرا وما عليه من بأس إذا اعتقد أشياعه أنه أجدر بالامامة فنادوه بها

فالسبب فى فتنه الخوارج وراء كل هـذه المسائل هو الذى أدركه (أبو الحسن) بزكانته وألمعيته حين قالوا (لا حكم إلا لله) : فقال من فوره كلمة حق يراد بها باطل، هم يريدون لا إمارة ولا بد من امارة برة أو فاجرة فالقوم بلا ريب أهل فوضى واضطراب ، وهم ثائرون على نظام الحكم والقائمين به إذ ذاك ، وهم رأوا دماء المسلمين تراق وبأسهم واقعا بينهم فخرجوا وثاروا ، وكل أمانيهم تخليص الاسلام من نظام رأوه شرا بل رأوا

(١) يريحها من حمله أى يقطعه

أن الرضى به كفر فثورتهم سياسية قبل أن تكون دينية بل إنها سياسية بحتة اندفعوا فيه مخلصين لها لا يعنيهم أن يقال أخطئوا أم أصابوا، شأن كل من يركب رأسه ويعرض عن ذكر العواقب جانبا ثم جرهم العناد إلى الدين فحاربوا به مخالفيهم فكفروا العصاة وقتلوا النساء والاطفال، حتى قال لهم عمر بن عبد العزيز (إنكم أردتم الآخرة فأخطأتم طريقها) ولما أخذتهم سيوف الامام على فى النهروان، وسيوف المهلب وغيره فيما بعد لجوا فى عنادهم، واندفعوا فى غمار الحرب، لأنها محببة اليهم بحكم جبلتهم العربية وبعامل الثأر لقتلاهم ممن يعتقدون فيهم الجور والطغيان ويزعم الخوارج انهم كفار مشركون، تلك هى الحقيقة التى يستنبطها المنصفون من تاريخ الخوارج ومن القصة الآتية يتضح لك جانب مما ذهبنا اليه من أن حبهم للأخذ بالثأر من أسباب طول مدتهم

بطشت جنود «ابن زياد» وأميرهم (عباد بن أخضر) بأبى بلال ابن مرداس) وجماعته وهم قيام لصلاة الجمعة بعد ما تهادنوا للصلاة فأتت عليهم جميعا وصلبوا على جذوع النخل وظل عباد بن أخضر مسرورا بما أوتيه من ظفر

وحسب أنه صار بمأمن من مقابلة الغدر بمثله ولكن القوم كانوا يتربصون به الدوائر ليشفوا صدورهم بأخذ الثار فرصدوه فى يوم جمعة وقد أقبل راكبا وأردف وراءه ابنه فقام إليه رجل من الخوارج وقال أسألك عن مسألة قال ما هى قال الخارجى: أرأت رجلا يقتل رجلا بغير حق وللقاتل جاه وقدر وناحية من السلطان الولى المقتول أن يفتك به إن قدر عليه؟ قال (عباد) بل يرفعه إلى السلطان، قال الخارجى ان السلطان لا يُعدى عليه لمكانته منه وعظيم جاهه عنده قال (عباد) أخاف عليه إن قتله

فتك به السلطان قال الخارجى دع ماتخافه من ناحية السلطان ، أتلحقه تبعه فيما بينه وبين الله ؟ قال (عباد) لا قال الخارجى قد حكم ؛ ثم قام هو وأصحابه فخبطوه بأسيافهم ورمى (عباد) ابنه من ورائه فنجا وتنادى الناس (قتل عباد) فجاء أخوه معبد بن أخضر فى جماعة من قومه فصاحوا بالناس دعونا وثأرنا ومالوا على الخوارج بالسيوف فلم يفلت منهم إلا (عبيدة ابن هلال) وفى ذلك يقول الفرزدق : —

لقد أدرك الأوتار (١) غير ذميمة إذ ذُم طلاب الترات الأخاضر
همُ جردوا الاسياف فى يوم أخضر فنالوا التى ما فوقها نال ثائر
أقادوا (٢) به أسدا لها فى اقتحامها إذا برزت نحو الحروب بصائر

ومهما يكن من أمرهم فقد أضعفوا جيوش الدولة الاسلامية وشغلوها عن الفتح والاصلاح زمنا طويلا حتى كان معظم هم بنى أمية حرب الخوارج فجنايتهم على الاسلام من هذه الناحية كبيرة جدا وكم أراقوا من دماء ، وكم قتلوا من أطفال وكم استباحوا من أموال لم تأخذهم الشفقة على امرأة لضعفها ولا شيخ لشيخوخته ، ولا طفل لبراءته ألا سحقا لقساة القلوب.

٦ — الجبرية

تبين من مذاهب المعتزلة أنهم كانوا يغالون فى إثبات الكسب للانسان أما المجبرة فعلى العكس منهم يغالون فى نفى الاستطاعة عن العبد يجعلونه كالريشة فى مهاب الريح أو كأغصان الشجرة (ومذهب أهل السنة وسط بين المذهبين كما علمت) وعلى مذهب المجبرة لا يكون للانسان كسب ولا ارادة ولا اختيار ، ولا تصرف فيما وهبه الله من نعمة العقل والتصرف على حسبه فكيف يكون له مطمع فى ثواب أو خوف من عقاب ؟ وما قيمة

(١) الوتر والترة الثأر (٢) أخذوا فى قتيلهم رجالا كالاسود بصيرين بالحروب

الرسالات والديانات وما جدوى الوعد والوعيد ؟ ولماذا أعدت النار للمتقين والنار للعاصين ؟ وكيف يتصور الانسان ذلك فى نفسه وهو يشعر أن له وجوداوأن له إرادة واختيارا ؟ لقد ضل كثير من الناس بمذهب الجبر فخارت منهم الهمم وانتقضت منهم العزائم ، وقعدوا وتواكلوا وأغرق بعضهم فى الفجور والدعارة مستترا بهذا الستار . فاذا سئل عما يفعل قال انه (مسيَّر) الى غير ذلك من الأعذار التى لايقيم لها الشرع والعقل وزنا ، فما وهب الانسان عقله جزافا ولكنه الضلال عن معنى (القَدر) اتخذه الناس سدا حصينا دون العمل والحيلة

ومن الجبرية طائفة (الجهمية) أتباع جهم بن صفوان الترمذى الفارسى الذى قتل فى سنة ١٣١ أواخر الدولة الأموية ، كان ينفى الصفات الالهية كلها وينفى رؤية الله ويزعم أن الجنة والنار تفنيان وتنقطع حركات أهلهما محتجا بأن عدم فنائهما يتعارض مع معنى قوله تعالى (وأحصى كل شىء عددا) وهذا مردود عليه بما يأتى :—

قال الفخر الرازى إن الله يعلم الشىء على ما هو عليه وكما هو فى نفسه فلما لم يكن لأجزاء غير المتناهى أجزاء متناهية . امتنع أن يعلم الله كونها متناهية ، يريد أن العلم بها على أنها غير متناهية هو العلم اللائق بالله تعالى ووافقه (ابن حزم) فى ذلك وزاد عليه أن من علم الشىء على خلاف ما هو عليه فهو جاهل به مخطىء فى اعتقاده ظان للباطل ، وعلم الله تعالى هو اليقين الحق

ويقول جهم بخلق القرآن وبالجبر وأن الانسان لايقدر على شىء ولا يوصف بالقدرة . وكان من دعاواه (إن من عرف الله ولم ينطق بكلمة التوحيد

لا يكفر) لأن العلم لا يزول بالصمت ولا بالجحود ، وهـذا مردود بأن الايمان هو التصديق بالقلب بشرط [١] الاقرار باللسان وبقوله عليه الصلاة والسلام (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله الا الله)

٧ – القدرية [٢]

هم المغالون فى اثبات القدرة للانسان وأنه لا يحتاج إلى معونة إلهية فى أعماله ، وهـذا مذهب قريب من مذهب المعتزلة كما لا يخفى ، وزعيم هذا المذهب (النظام) من شيوخ المعتزلة وأول من قال بالقدر بهذا المعنى (معبد الجهنى) وكان يجالس الحسن البصرى وتبعه أهل البصرة فعـذبه الحجاج وصلبه سنة ٨٠ هـ بأمر عبد الملك بن مروان

٨ – المشبهة

هم الذين غلوا فى إثبات صفات الله (على عكس المعتزلة) حتى وصلوا بها إلى حد التجسيم فى ذات الله تعالى فمنهم من قال إنه كنور السبيكة الصافية يتلألأ من جوانبه

---

(١) أو الاقرار شطر منه (كما سبق)

(٢) هم منكرو قدر الله تعالى والقدر علم الله بالأشياء ومقاديرها وأزمانها قبل وقوعها وإيجادها على ما سبق في علمه ، والقدرية : منهم من ينكر سبق علم الله بالاشياء قبل وقوعها ويقولون (الأمر أنف) بمعنى أن الله يأتنف الأشـياء علما حين وقوعها (يبتدىء علمها) ومنهم من يقول انه تعالى عالم بالأفعال أزلا ثم يزعمون أن أفعال العباد مقدرة لهم وصادرة منهم على جهة استقلالهم وقد مر بك بحث هـذه المسألة عند الكلام فى أفعال العباد

واحتجوا بقوله تعالى (الله نور السموات والأرض) ، وهذا وهم لا دليل عليه فان النور إما جسم وإما عرض والله تعالى ليس جسما ولا عرضا كما ثبت ذلك بالبراهين العقلية

والمعنى اللائق بتنزيه الله تعالى عن الجسمية والعرضية أنه منوِّر السموات والأرض على سبيل المجاز كما تؤيده بعض القراءات فأن الله منورهما بالكواكب وبهدى الأنبياء عليهم السلام أو بالتدبير والاحكام كما تقول للرجل البالغ نهاية التدبير فى عشيرته أنت (نورهم) الذى يهتدون به فى دياجير الملمات ومدلهم الخطوب ، أو المعنى كما قال (ابن عباس) أنه هادى من فى السموات والأرض فهم بنوره يهتدون وإضافته إليهما للدلالة على سعة إشراقه

ومنهم (الجعد بن درهم) مؤدب (مروان بن محمد) الذى يقول إن الله جالس على العرش ، أخذا بظاهر الآية الشريفة (الرحمن على العرش استوى) مع أن روح الآية ومتعارف اللغة وتنزيه الله تعالى تقتضى أن يكون الاستواء بمعنى الاستيلاء كما فى قول الشاعر :

قد استوى بشْر على العراق من غير سيف ودم مهراق

ومن المشبهة (الهشامية) الذين قالوا : ان الله كنور السبيكة الصافية يتلألأ نوره من جوانبه و (الجولقية) الذين قالوا أنه على صورة إنسان نصفه الأعلى مجوف ونصفه الأسفل مصمت ، ومنهم (البيانية) أتباع (بيان بن اسماعيل) الذى قال ان الله على صورة انسان وأنه يهلك كله إلا وجهه تمشيا مع ظاهر الآية (كل شىء هالك إلا وجهه) وما أظن هذا الادعاء وما قبله فى حاجة إلى إبطال فالبطلان واضح فيهما سبحانه وتعالى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير

ومن المشبهة طائفة (الكرامية) أتباع (محمد بن كرام) المتوفى سنة ٢٥٦ هـ كان له تبع كثيرون فى جهة نيسابور ومن قولهم أن الله جسم له حد ونهاية من الجهة التى يلاقى بها عرشه ، ووصفوه تعالى بأنه جوهر ، وأن الله مماس لعرشه الذى هو مكان له ، وأنه محل للحوادث فادراكه للمرئيات والمسموعات وأقواله وإرادته اعراض حادثة فيه ، وزعموا أنه لا يموت فى العالم جسم ولا عرض إلا بعد حدوث اعراض كثيرة فى ذاته منها إرادته لحدوث ذلك الحادث وقوله له (كن) على الوجه الذى خصصه به ، ولا يعدم من العالم شىء إلا بعد حدوث أعراض كثيرة فيه تعالى وقوله (كن معدوما) إلى غير ذلك من الاباطيل التى لا يقبلها عقل سليم ، وقد تكفلت الادلة العقلية فى مباحث التوحيد بنفى التحيز عن الله ونفى التركيب فى الذات فلا نطيل فى الرد على هذه الضلالات وكم (للكرام) من آراء باطلة فى الفقه كزعمه أن العبادات تصح من غير نية وتكفى نية الاسلام وأنه يجوز الخروج من الصلاة بالأكل والشرب والجماع عمداً ثم البناء على ما صُلى منها وجوَّز الصلاة فى ثوب مستغرق فى النجاسة

الباطنية والقرامطة

الباطنية فرقة تقول أن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا وكانوا يلقبون فى العراق (بالقرامطة) وفى خراسان (بالملحدة والتعليمية) وهم يقولون إننا شيعة (اسماعيلية) تميزنا عن الشيعة بهذا الاسم

وهم يتأولون آيات القرآن الكريم على أهوائهم فيزعمون أن الملائكة هم دعاتهم ، والشياطين مخالفوهم والصلاة موالاة إمامهم والحج زيارته والصوم الامساك عن افشاء سره وأن من عرف الله سقطت عنه العبادة يتأولون في ذلك قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) يريدون

باتيان اليقين معرفة التأويل والمعني الواضح الحق (حتى يأتى الموت) فليس شيء مما يطرأ على الانسان متيقن الوقوع كالموت

ونشأ من تأويلاتهم هذه أن أضلوا كثيرا ممن استهوتهم شياطينهم وممن يرغبون فى التحلل من قيود الشريعه والقيام بالتكاليف (وكثير ماهم) فقد أباحوا نكاح الأخوات والبنات وشرب الخمر وسائر اللذات

قال بدعوتهم (ميمون بن ديصان) المعروف (بالقداح) وهو من (الاهواز) كان مولى لجعفر الصادق ، أعلن دعوته عند أكراد الجبل وانتسب لعقيل بن أبى طالب لما رحل إلى بلاد المغرب فقبل دعوته قوم من غلاة الروافض والحلولية ثم ادعى أنه من ولد (محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق) مع أن (محمدا) هذا لم يعقب وآزره فى دعوته هذه رجل يقال له (حمدان قرمط) سنة ٢٦٤ هـ وكان اكارا (حرأثا) من أكرة العراق فنسبت اليه فرقة (القرامطة) التى تستقى من معين الباطنية .

والقرامطة هؤلاء من الزنادقة الذين ضلوا واضلوا واستباحوا المحرمات وعاثوا فى البلاد فسادا لما كثرت جمهرتهم ممن يميلون إلى الاهواء ويحبون التحلل من قيود الدين ، ويرحبون بدعوة أعداء الاسلام من المجوسية والثنويه إذ قيل أن أول داع إلى هذا المذهب كان يميل إلى عقيدة المجوس ونشأ فى مهد هذه الديانة من جهات فارس

وكان ظهور دعوة الباطنية زمن (المأمون) وانتشرت زمن المعتصم فوكل بحربهم (الإفشين) ثم (عبد الله بن طاهر) و (أبادلف [1] العجلى)

---

(١) هو القاسم بن عيسى بن ادريس العجلى ، الشجاع الكريم ، مات سنة ٢٢٦ هـ وفيه يقول أبو تمام : —

تكاد عطاياه يجن جنونها إذا لم يعوذها بنفحة طالب

ويقول غيره : —

إنما الدنيا أبو دلف بين باديه ومحتضره
فأذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

كما حاربهم الاخشيديون بعد ما رأوه من استفحال شرهم وانتشار ضلالاتهم وقد ظهر حفيد (ميمون بن ديصان) بالشام وانتصر على جيش المعتضد ودخل (ابن جهروية) الرصافة وأحرق مسجدها الجامع ، وفى سنة ٣١٢هـ قتل القرامطة أكثر الحجيج وسبوا الذرارى وأمعنوا فى أذى الناس

وبالجملة فالباطنيون والقرامطة من أشد الناس خطرا على الإسلام ، والقرامطة ممن قالوا بتناسخ الأرواح . ولهم كتب تبين مذاهبهم الضالة منها كتاب (أساس الدعوة) وكتاب (تأويل الشرائع) وكتاب (كشف الأسرار) .

والذى يدل على أنهم متأثرون في دعوتهم بديانة المجوس والثنوية اتحاد أصول دعوتهم مع أصول تلك الديانة ، فالمانوية يقولون (ان النور والظلام فاعلان قديمان ، والأول فاعل الخير والثانى فاعل الشر) والمجوس كالثنوية فى ذلك سوى أنهم زعموا أن صانع الخير قديم وهو الاله وفاعل الشر حادث وهو الشيطان ، والباطنية يقولون ان الاله خلق النفس (فهو الأول والنفس هى الثانى) والاثنان مدبران للعالم وسموهما (الأول والثانى) أو (العقل والنفس) فأنت ترى أنه لا يكاد يوجد فرق بين نحلة المجوس والثنوية من (قدامى الفرس) ودعوة الباطنية ممن ينتحلون الاسلام وهو منهم براء ، بل إنهم إذ حاولوا الكيد للاسلام أفزعتهم سيوف المسلمين فلجئوا الى الحيل يغوون بها الضعاف الذين يسرهم أن يتحللوا من قيود الشرع وحدود الدين ، وما كان تشبثهم بالتشيع إلا حيلة وتماديا فى التستر وإمعانا فى الكيد وكان لهم فى استمالة العامة إلى مذهبهم طرق شيطانية فانهم يبدءون بتشكيكهم فى الكتب السماوية كافة ويدعونهم الى نبذ الشرائع ثم يشككونهم فى الحياة الأخروية حتى ينكروا البعث والمعاد وغيرهما

ويفهمونهم أنه كان قبل آدم خلق كثير يبغون بذلك إضعاف العقيدة والتوصل به الى قدم العالم كما قالت الفلاسفة ، وكل هـذا واضح من رسالة أرسلها رأس من رءوس الباطنية (عبيد الله بن الحسن القيراوانى) الى داعية من دعاتهم (سليمان بن الحسن الجنانى) يقول فيها ادع الناس بأن تتقرب اليهم بما يميلون اليه ، وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم فمن آنست منه رشداً فاكشف له الغطاء ، وإذا ظفرت بالفلسفى فاحتفظ بة فعلى الفلسفى معولنا وإنا وإياهم مجمعون على قدم العالم)

يتضح من ذلك أن الباطنية والقرامطة هم الزنادقة المارقون الذين اصطنعهم المجوس للكيد للاسلام فكانوا عند ظنهم وكانت لهم جمهرة كثيفة فى جهة الهند الى أن بددها وقضى عليها (محمود بن سبكتكين) حين غزا الهند واستولى عليها رحمه الله ، هذا ولم يبق من ذيولهم إلا فئات ضئيلة متفرقة جهة الهند والشام ولبنان (١)

(البهائية)

هذا ومن ذيول الباطنية طائفة فارسـية الأصل توجد الآن بجهة الشام تدعى (البهائية أو البابية) نسبة إلى (بهاء الله ميرزا حسين على) أو الى (الباب ميرزا على محمد) وهما فارسيان ظهر الثانى منهما بشيراز جنوبى فارس وكان تاجرا ثم أعلن دعوته التى تستقى من معين الباطنية سنة ١٢٦٠ هـ فأعدمته الحكومة الايرانية سنة ١٢٦٥ هـ وخلفه الأول فسجنته ثم نفته الى بغداد سنة ١٢٦٩هـ فلما تمادى في ضلالته نفته الدولة العثمانية الى (أدرنه) ثم الى (عكة) وهلك بها سنة ١٣٠٩ هـ فخلفه ابنه (عبد البهاء عباس)

(١) منهم الدروز الذين يقولون بحلول روح الله فى الحاكم بأمر الله الفاطمى ، ومحمود ابن سبكتكين هو سلطان غزنه توفى سنة ٤٢١ هـ

ولهذه الطائفة دعاة يروجون لها وكتب تنشر مذاهبهم ،وهى كالباطنية فى دعوى التشيع والتشبث بكثير من الضلالات فمن ذلك أنهم يؤولون الكتاب العزيز والحديث الشريف على حسب أهوائهم ، يريدون بذلك تشكيك الناس فى العقيدة ، حتى يسهل عليهم مهاجمتها ، وصرف الناس عنها، تعصبا إلى دينهم الأول الذى ازاله الاسلام بعد غزو فارس . فيقول أحد دعاتهم فى كتابه (الدرر البهية) (ليس المراد من تأويل آيات القرآن معانيها الظاهرة ومذاهبها اللغوية ، بل المراد المعانى الخفية التى أطلق عليها الألفاظ على سبيل الاستعاره والتشبيه) ، وواضح أن هذا نوع من التمويه والبهتان فالقرآن كما وصفه الله كتاب عربى مبين أنزله الله على رسوله الأمين ليبلغه الناس فيتدبروا اياته وليتذكر أولو الألباب ، ولا يتحقق ذلك الغرض من القرآن اذا كانت ألفاظه لا تعرب عن مدلولاتها ولا تفصح عن معانيها ، وما فائدة الرسالة اذا صح ما يزعمون ، لاشك أن القوم يظهرون بلباس الاسلام ليستطيعوا نفث سمومهم ويصلوا الى مالا يستطيعون لو ظهروا بمظهرهم الحقيقى ، فهم لذلك يلجئون الى ما لجأ اليه أسلافهم الباطنية من صرف معانى القرآن الى أهوائهم ولولا أن أخذت الحكومتان الفارسية والعثمانية عليهم السبل لاستفحل شرهم واستشرى داؤهم وكانت لهم فتنة لا تقل عن فتنة أصلهم من الباطنية والقرامطة الذين عاثوا فى الأرض فسادا .

وكما ادعى الباطنية حلول الله فى الاشخاص ادعى هؤلاء مثل هذه الدعوى فيقول (عبد البهاء عباس) (وقد أخبرنا (البهاء) بأن مجىء رب الجنود والأب الازلى ومخلص العالم الذى لابد منه فى آخر الزمان عبارة عن تجليه فى هيكل (عيسى الناصرى) إلا أن تجليه فى هذه المره أتم وأكمل وأبهى ، فعيسى وغيره من الانبياء هيئوا الافئدة والقلوب لاستعداد هذا التجلى الاعظم)

وورد فى بعض كتبهم (أن الكون بلا مبدأ زمنى . وانه صادر أبدى عن العلة الاولى) فلا يغرنك تمويههم واعلم أن صدور العالم عن العلة على حسب تعبيرهم لا يفيد الأبدية كما يعتقدون وانما يفيد عقلا انه حادث لأن العلة مهما اتصل بها المعلول سابقة عليه فى مرتبة الوجود وبدهى أن مفيض الوجود سابق فى الوجود على المفاض عليه ، وإلا كان الحكم بأن هذا علة وهذا معلول ترجيحا بلا مرجح ، وهنا يجدر أن نقول إن إطلاق لفظ العلة على واجب الوجود سبحانه وتعالى من قبيل المشاكلة والمجاراة لعبارة الحكماء فى جدلهم ليس غير ، وإلا فلله الأسماء الحسنى والمختار أنها توقيفية ، على أن الله تعالى موصوف بالارادة والاختيار وقبل أن يخلق العالم كان ولا شىء معه فلما تعلقت قدرته وإرادته بخلق الكون أوجده من العدم فليس هنالك مجال لدعوى قدم العالم بحجة أن الشىء لا يتخلف عن علته ، إلا إذا قال أولئك القوم بتجريده تعالى عن الارادة والاختيار وهذا ما نهضت الأدلة العقلية الحاسمة على نفيه عن الله بعد ما ثبت وجود الممكنات ، واحتياجها الى موجد ، وأن ذلك الموجد ليس من طبيعة الممكنات وأنه ما دام كذلك فهو الواجب الذى لا يشابه الممكنات فلا يوصف بالكراهية (١) والاضطراب

---

(١) ولا قيمة لاعتراض يتوجه إلى قضية (أن العالم مخلوق من العدم) فان الخالق جل ثناؤه صاحب القدرة التى لا نهاية لها ، وغير مفتقر الى شىء آخر (وهذا ثابت بالأدلة العقلية) فلا يتقيد فى خلق العالم بشىء وفى قدرته أن يوجد الشىء من العدم الصرف وإلا كانت قدرته محدودة وذلك مما أحاله العقل وادعاء أنه لا يتصور (صدور شىء من لا شىء) يليق بالممكن الذى له قدرة محدودة ، أما (الواجب) جلت قدرته فلا يتقيد بما تتقيد به الممكنات ودعوى أن ذلك مما لا يدركه العقل لا تنفى إمكانه

وزعم (عباس) أن تعاليم (البهاء) (تحتوى على جميع آمال العالم ، وأن الجميع يجدون فيها دينا عموميا فى غاية الموافقة للعصر الحاضر) وبزعم أنه يريد أن يوحد بين المسلمين والنصارى واليهود ويجمعهم على أصول نواميس (موسى) عليه السلام الذى يؤمنون به جميعا) وليس معنى ذلك سوى الطعن على شريعة الاسلام ، والدعوة إلى نبذها والتنصل من الدين جملة بعد ما استقر فى النفوس أن الاسلام دين الفطرة ، وأنه خاتم الديانات ورسوله عليه السلام خاتم الانبياء وليس بعد هذا قول أدل على خبث نية هؤلاء القوم نحو الاسلام والمسلمين

ثم إن القوم لا يؤمنون بالبعث والنشور والثواب والعقاب (كما وصفهما القرآن الكريم) ويؤولون يوم القيامة بمجىء (البهاء) والجنة بالحياة الروحانية والنار بالموت الروحانى ، وهذا صريح فى تجردهم من لباس الاسلام

ومن عجب أنهم مع كل ما تقدم يتمسحون بالاسلام ، ويدعون التشيع وهم ظل لأسلافهم (الباطنية والقرامطة) الذين أجمعت الأمة على مروقهم من الدين ، وعلى أنهم سلائل المجوس الذين غاظهم زوال ديانتهم باشراق نور الاسلام على أرض فارس فاحتالوا للنيل منه بتلك الدعاوى والتشيع لآل البيت وهم منهم براء وقانا الله شر الفتن والوقوع فى حبائل المضللين ، وثبتنا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة

كذب

الباطنية لا تتمسح بالاسلام

بالنسبة لله إذ لا يلزم من الجهل بالشىء نفيه ، وكثيرا ما يقف الانسان حائرا دون حقائق الاشياء وهو يشاهدها بحواسه فكيف بأمر نسبته إلى بارىء الكون وواجب الوجود (انما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون)

كلمة اجمالية فى الفرق

١ — كانت فكرة الشيعة أول الأمر التعصب لعلى كرم الله وجهه وأولاده من بعده ثم دخلها الجدل الدينى ليؤثروا به على العامة ولم تخل من دخيل يكيد للدين فى الخفاء، متشحا بوشاح الاسلام، والغيرة على آل البيت. وقد فطن الامام على كرم الله وجهه إلى هذه المكيدة فنفى (عبد الله بن سبأ) وشرده فى الآفاق ولم يبق على من ادعوا ألوهيته منهم فقيل انه أوقد النار وأحرقهم وبينهم وبين الخوارج تمام التناقض فالشيعة يوجبون الامامة فى على وآله، ويقولون ان ذلك ثابت بالنص جليا أو خفيا وبعصمة الأئمة وان الامامة فى (على) لا تخرج عنه وعن أولاده شرعا، وإن خرجت فبظلم من الناس أو بتقية من أولاده، ثم هم يجعلون الاعتقاد بالامامة جزءا من الايمان

٢ — أما الخوارج فيجوزون أن تكون الامامة فى غير بنى على بل فى غير قريش بل يروزجواز خلو العالم من إمام ويوجبون محاربة الامام الجائر وينفون العصمة عن سائر البشر، وأقرب الشيعة إلى أهل السنه، الزيدية، وأبعدها من شرعة الاسلام الغلاة الذين اعتقدوا حلول الله تعالى فى الانبياء والأئمة وقالوا بالرجعة أو بالتناسخ

٣ — وأما المعتزلة (١) فقد نما مذهبهم أول القرن الثانى، ولما كان كثير منهم من الفرس، وكان للفرس مكانة فى الدولة العباسية، نبه شأن المعتزلة

---

(١) زيادة على ما أسلفناه فى أصل تسميتهم يقال ان سببها اعتزال شيخ المعتزلة وامامهم (عمرو بن عبيد) المتوفى سنة ١٤٤ هـ مجلس (قتادة بن دعامة السدوسى) الذى تصدر في مجلس (الحسن البصرى) بعد وفاته فلما اعتزلوه سماهم المعتزلة، وقتادة هذا توفى سنة ١١٧ هـ (بواسط)

وعاضدهم الخلفاء (١) فانتشر مذهبهم انتشارا عظيما وعارضهم السلف الصالح رضى الله عنهم بقوة الدين لابقوة الدولة ومن العدل أن نقول ان المعتزلة طالما دافعوا عن الاسلام وردوا أباطيل الفلاسفة ، ولذلك تعلموا الفلسفة ليكافحوا بها الفلاسفة بمثل أسلحتهم ، ثم هم لم ينكروا أنه تعالى قادر مريد عالم حى سميع بصير متكلم وإنما يقولون قادر بذاته ، مريد بذاته لا بصفة أما أهل السنة فيرون أن إثبات صفات الذات لا يوهم التعدد فان الصفات ليست عين الذات ولا منفكة عنها وأن التعدد فى الذات هو الذى يقتضى تعدد القدماء ولما قال المعتزلة بوجوب الصلاح والاصلح كانوا جد حريصين على تنزيه الله عن الجور والظلم وإن غفلوا عن نسبة الكراهية اليه تعالى ونفى الاختيار عنه فأنت ترى من كل ما تقدم أن المعتزلة فرقة إسلامية (٢) بحتة وأنها تطرفت فى مجادلاتها وآرائها حتى صارت محل النقمة من سواها بل انها أخذت فى التشدد فى أحكام الثواب والعقاب فقالت ان العمل شطر من الايمان وبنت على هذا أن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر فتعرضت لسخط الكافة من الناس (والمعتزلة) قالوا فى الامامة بما يقرب من مذهب الخوارج إلا أنهم لم يروا وجوب محاربة الامام الجائر إلا عند الامكان وإذا انضم هذا إلى رأيهم فى أن مرتكب الكبيرة فاسق رأيت المسافة بينهم وبين الخوارج قريبة جدا ، ولكنهم لم يعطوا صراحة الخوارج وجرأتهم

(١) كان العلاف والنظام من أخص المقربين الى الخليفة عبد الله المأمون العباسى

(٢) بعض المحققين يستبعدون كثيرا مما عرف عنهم كالقول (بأن القرآن جسم يمكن أن يكون مرة رجلا ومرة حيوانا) وهو منسوب الى الجاحظ ولا يتفق مع علمه ومنطقه ويعزون مثل ذلك الى خصومهم من الحشويه المداهمين عن جميع أهل الحديث وكل ما روى عنهم والرأى المتقدم المنسوب الى الجاحظ نقله (الشهرستانى) فى كتاب (الملل والنحل) عن (ابن الدينورى) المعروف بعداوته للجاحظ وقد توفى سنة ٢٩٨ هـ

فأبقوا باب التقية مفتوحا ، على أن هذا لا ينفى أن من المعتزلة من عرض للحياة الاخروية بما لا يتفق مع العقيدة السليمة فى شىء ، ومن قال بالتناسخ وهو (أحمد بن حائط) تلميذ (النظام) ومهما يكن من أمرهم فهم بعيدون من أن يكونوا آلة فى يد عدو يكيد للاسلام كغلاة الشيعة ومن الذى يستطيع أن يجحد للمعتزلة وقوفهم بالمرصاد للفئة الكرامية القائلين بالتجسيم ؟

٣ — وأما المرجئة فقد ظهروا أواخر القرن الأول وأنت خبير بأن مذهبهم مذهب تساهل يهون ارتكاب المعاصى الأمر الذى لم يقل به أهل السنة ، والذى غلا فيه المعتزلة فضنوا على صاحبه بصفة الايمان

٤ — القدرية يستقون من معين المعتزلة فى مسألة إثبات الاستطاعة للعبد

٥ — الجبرية[1] مضادون للقدرية والمعتزلة وأهل السنة فى دعواهم أن العبد مجبور على أعماله الاختيارية . هذا ، ويمكنك أن تعد القدرية غلاة المعتزلة كما أن الخوارج فى مسألة مرتكب الكبيرة ومسألة الامامة غلاة المعتزلة أيضا

٦ — وأما القرامطة والباطنية فليسوا بذوى رأى إسلامى كما قرأت

---

(١) وقد عد صاحب (خبيئة الأكوان) من الجبرية (ضرار بن عمرو) ولم يورد عنه مايشعر بذلك وعده الشهرستانى معطلا ونسب اليه القول بأن أفعال العباد مخلوقة لله وأكساب للعباد) وليس فى هذا جبر كما ترى ، وعده ابن حزم من أقرب المعتزلة الى أهل السنة

وهكذا تختلف أحكامهم على الاشخاص تبعا لتعدد الأقوال المنسوبة اليهم وقد ينسب الواحد الى فرق عدة مثل ثوبان فقد وصفوه (بالمرجىء الخارجى المعتزلى) وسموه (جامع النقائص) والمهم عندنا معرفة المذاهب والبواعث عليها وأشهر رجالها وهو ما تحريناه وصرفنا لأجله النظر عن أسماء كثيرة جعلت رءوس فرق ، فى حين أن ذويها لم يمتازوا بصفة خاصة يزيد بها عدد الفرق عما أوجبته أصول الافتراق

فى تاريخهم وإنما هم زنادقة جاحدون وأعداء لمناوأة الاسلام مدفوعون

٧ — وأما الخوارج فقد أسلفنا الكلام عنهم بما فيه الكفاية

٨ — وأما أهل السنة فقد ظهر مذهبهم باعتباره مذهبا ذا قوة وجهرة فى أوائل القرن الرابع ، وقد كان معظم الناس إلى نهاية القرن الثالث بين شيعى ومعتزلى ومرجىء ومشبه وقدرى ، وقل منهم من كان على مذهب السلف الصالح فلما جاء الامام الحسن الأشعرى ، قام يفند آراء تلك الفرق ، وسلك في ذلك مسلكا وسطا بين السلف الصالح ومخالفيهم من المعتزلة والمشبهة ، فأقبل الناس على مذهبه وعاضده كثير من أئمة الفقهاء والمتكلمين فعرف رأيهم برأى أهل السنة والجماعة ، ووضعوا علم التوحيد على الأصول القويمة المعروفة وبذلك انقطعت ذرائع الابتداع أو كادت ، وأنت ترى أن هذا المذهب متأخر فى مرتبة الوجود عن المذاهب الاسلامية كلها فهو منها بمنزلة الحكم[1] الفاصل فى منازعاتها

هذه موازنات يسيرة جئت بها بعد بيان تلك المذاهب تثبيتا لها وإيضاحا لغامضها وتقريراً لمعانيها : —

(١) وأصناف أهل السنة هم علماء التوحيد السالكون طريق الصفاتية ، وأئمة الفقه كأبى حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل وسائر الفقهاء الذين لم يخلطوا الفقه بأهواء الفرق الأخرى ، ورجال الحديث الذين لم يخلطوا علمهم بنزعات تضاد عقيدة أهل السنة ، وأئمة اللغة الذين لم يجاروا الفرق الأخرى فى عقائدهم كالخليل بن احمد وأبى عمرو ابن العلاء ، وعلماء القراءات والمفسرون على سنن أهل السنة ، والزهاد والصوفية الذين جرى قولهم فى جميع أحوالهم على السنة كالامام الغزالى ، والاستاذ عبد الوهاب الشعرانى والشيخ محيى الدين بن العربى بخلاف القائلين (بوحدة الوجود) فان لهم شأنا آخر يذكر فيما بعد ، وعامة البلدان التى غلب فيها مذهب أهل السنة ممن لم يعتقدوا فى بدع الفرق الاخرى

الصوفية

الصوفية (سواء أ كانت منسوبة إلى الصفاء[١] ، أم الى الصُّفَّة[٢] ، أم إلى الصوف[٣]) رمز إلى الزهد والتقشف والتعلق بالله جل وعلا والتعرف اليه ، والانصراف عما عداه ، والاستهانة بزخرف الحياة ، فهى مذهب روحى بكل معانى الكلمة . قال (الجنيد) : (التصوف أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة) وقال (معروف الكرخى) : (هو الاخذ بالحقائق واليأس مما فى أيدى الخلائق) وقال آخر (التصوف مبنى على ثلاث خصال التمسك بالفقر ، والتحقق بالبذل ، وترك الغرض والاختيار) وقال (ابن خلدون) . (الصوفية من العلوم الشرعية الحادثة في الملة ، وأصلها العكوف على العبادة ، والانقطاع الى الله ، والاعراض عن زخرف الدنيا ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور ، من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة ، وقد كان ذلك فاشيا فى الصحابة والسلف ، ولما عم الاقبال على الدنيا فى القرن الثانى وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم (الصوفية أو المتصوفة)

يستبين مما تقدم أن الأصل فيها عمل روحى ، وأن هذا العمل كان فى صدر الاسلام ولكنه لم يعرف بالاسم الذى اصطلح الناس عليه الا فى القرن الثانى للهجرة

نعم كان ذلك شأن كثير من الصحابة والتابعين ومن تلاهم كسيدنا عمر ابن الخطاب ، والحسن البصرى ، وعمر بن عبد العزيز ، ولكن لم يكن

(١) صفوى تحرفت الى صوفى

(٢) مسجد النبى عليه السلام

(٣) لأنه لباس التقشف فى ذلك العهد

ليصرفهم عن العمل الدنيوى الذى يعود نفعه عليهم وعلى الكافة ، ولم ينسهم زهدهم ونسكهم أن الله جعل الدنيا مزرعة للآخرة ، ولا يعقل أن يكون منهم سوى ذلك وهم صحابة النبى عليه السلام أو التابعون قريبو العهد بزمن الرسالة ، وهم يعلمون أن أصول الشريعة الغراء تجعل السعى على العيش (من وجوهه المشروعة) فى مقدمة القربات إلى الله ويتدبرون قوله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)

فكانت الفكرة التى بنى عليها التصوف داعية لطهارة القلوب ، وتصفية النفوس ، وإحكام الروابط على أكمل وجه بين عملى الدنيا والآخرة وكذلك كان الصدور من زعماء المتصوفة ، ولا يزال منهم السادة المتقون الداعون الى الخير ، السالكون الى اليوم طريق الدين القويم

لقد كان لهذا المذهب أطوار وتقلبات ، فغالى فيه قوم حتى وقعوا فيما أسلفت الكلام فيه ، مما دعا البعض إلى تكفيرهم ، وحمل البعض الآخر على الاشفاق عليهم والتماس المعاذير لهم ، على انه بنى تلك المعاذير على تجردهم فى بعض أحوالهم من سلطان العقل ، ومن أولئك القوم (الحلاج) الذى لم ينجه اختلاف أئمة عصره فى شأنه من الصلب والاحراق

وحاد قوم آخرون عن جادة الصوفية ، فاتخذوا التصوف حرفة لهم ، وجعلوا منه طريقا للعيش ، وانقطعوا عن العالم أو كادوا ، وعطلوا قواهم وجهودهم التى لو استغلوها (مع زهدهم وورعهم) لكان لهم ولغيرهم خير عميم ، ومن أولئك القادرون على الكسب من العاكفين فى (الاربطة[1]) الذين وصفهم من يحسنون الظن فى كل شىء بأنهم آثروا الآخرة على الدنيا وحرموا أنفسهم طيبات ما أحل الله ولم يفقهوا حكمة الله فى خلق الحياة الدنيا

---

(١) التكايا

ولا قيمة السعى على المعايش ، ولا أن العمل فى الدنيا طريق للسعادة فى الآخرة

ويصفهم الآخرون بالوكالين الكسالى الذين هانت نفوسهم وانحطت عزائمهم فشاركوا العجزة والمساكين واعتدوا على حقوق الارامل واليتامى من ذوى الفاقة الذين هم أولى بريع أوقاف المسلمين

هذا وقد مضى القرن الثانى للهجرة وفكرة التصوف خلو من كل ما يوهم (الحلول والاتحاد والوحدة) فلما جاء القرن الثالث وكثر اختلاط الصوفية بالغلاة من الشيعة كالاسماعيليه سرت اليهم أفكار غريبة عن أصل مذهبهم ، وهنا يحسن أن ننقل عبارة للعلامة (ابن خلدون)

قال (إن المتأخرين من المتصوفة القائلين بالكشف ، وفيما وراء الحس توغلوا فى ذلك ، فذهب الكثيرون منهم إلى الحلول والوحدة ، وملئوا الصحف من قبل [1] (ابن العربى [2] وابن الفارض [3]) وقد خالطوا (الاسماعيلية) المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا بالحلول والهية الأئمة فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر ، واختلط كلامهم ،

---

(١) يعنى بمثل كلامهما

(٢) هو الاستاذ (أبو بكر اسحق بن أحمد بن عبد الله الحاتمى) ولد فى سنة ٥٦٠ هـ بالاندلس وكان ظاهرى المذهب فى العبادات ، باطنى النظر فى الاعتقادات ، وله مؤلفات عدة كلها شاهدة بفضله ، رحل الى الحجاز ، ودخل مصر ، وأقام بمكة مدة ولم يعد الى الاندلس وقبره بالشام

(٣) العارف بالله (شرف الدين عمر بن الفارض) ولد بالقاهرة ، كان آية فى الزهد والتعلق بالله وشعره عذب حافل بالتورية وغيرها من المحسنات البديعية وقبره بجبل المقطم وفيه يقول أحد الشعراء

جز بالقرافة تحت ذيل العارض ... وقل السلام عليك يا ابن الفارض

وتشابهت عقائدهم وظهر فى كلام الصوفية (القطب) ومعناه (رأس العارفين) يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد فى المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان)

وليلاحظ أن الزهد أساس من أسس التصوف ولكن الصوفى يجعل همه معرفة الله (جل وعلا) لا يتطلع فى زهده إلى شيء سواه واعتبر ذلك فى قول (رابعة [1] العدوية) المتصوفة (إلهى إذا كنت أعبدك رهبة من النار فأحرقنى بنار جهنم ، وإن كنت أعبدك رغبة فى الجنة فاحرمنيها وأما إذا كنت أعبدك (يا إلهى) من أجل محبتك فلا تحرمنى من جمالك الأزلى) وقولها : (حبى لله لا يترك مجالا فى قلبى لحب مخلوق أذكره (وقول ابن الفارض) سلطان العاشقين : —

وما رد وجهى عن سبيلك هول ما لقيت ولا ضراء في ذاك مست
وما هو إلا أن ظهرت لناظرى بأكمل أوصاف على الحسن أربت
فحليت لى البلوى فخليت بينها وبينى فكانت منك أجمل حلية

إلى غير ذلك مما تفيض به أقوال المتصوفين ، وكله غرام بالذات الالهية ،

كلمة فى الطرق الصوفية

ولقد كان التصوف مذهبا واحدا ذا أسلوب واحد ثم دخله التفرق باختلاف الأزمان والبيئات ، فنشأ من ذلك طرائق عدة ، لكل طريقة تقاليد وعادات ونظم خاصة فى عباداتها وطرأ على الصوفية فكرة

---

(١) ام الخير رابعة بنت اسماعيل مولاة آل عتيك توفيت سنة ٢٣٥ ه وقبرها بالبصرة مشهور يزار

التبتل [١] والانقطاع فى الرُبُط (التكايا) واخترعت أسماء عدة تحدد نظام كل طريقة كالشيخ ، والمريد ، والدرويش [٢] وصار لابد للمريد قبل انخراطه فى سلك الطريق من دورى رضاع [٣] وفطام

كل ذلك لم يكن موجودا فى الصوفيـة حتى جاء القرن الثالث فظهر وشاع بين المتصوفين كما ابتـدع بعض الفرق الأغانى والموسيقى والشعر الصوفى تستعين بها (على ما تزعم) فى حلقات الذكر التى تعقد على أنماط مختلفة مما شوه كثيرا من وجه التصوف ، وقلل من روعته

وبعض الفرق تغالى فى هـذه البدع وفى تحريك الأبدان على نغم الموسيقى إلى حـد يأباه الشرع ، ولا يتفق مع أصول الدين ، وخشوع الذاكرين : —

هذا والطرق الصوفية كثيرة ولها مشيخة تشرف عليها ، وترد الجامح منها إلى حظيرة الصواب ، ومنها ماله شأن كبير ، وأتباع كثيرون كالشاذلية والأحمدية والسنوسية والغنيمية والمغازية مما لا يحتاج إلى إطالة فى التعريف لشهرته وكثرة أتباعه

ومنها طريقة معروفة بغلوها فى استعمال آلات الطرب ، والافتتان فى حركات الجسم ، إذا عقدت مجالس الذكر وهى (المولوية) ولهم رباط مشهور فى القاهرة يقصـده كثير من الناس (حتى الأجانب) ليقفوا على ما ابتدعه هؤلاء القوم من النغم الموسيقى ، وتوقيعه بحركاتهم [٤] أتباع (جلال

---

(١) الانقطاع الى العبادة

(٢) كلمة فارسية تؤدي معنى (المريد) وقيل معناها (مكتف بالقليل) أى زاهد

(٣) يراد به دور الاختبار والاستعداد لتكاليف الطريق

(٤) المولوية وهم منسوبون الى جلال الدين الرومى (المولى)

الدين الرومى) المولود (ببلخ[1]) سنة ١٢٠٧ م ، تلقى العلم فى حلب والشام ثم تصوف ، وله ديوان شعر فارسى اسمه (ديوانى شمسى تبريزى) كله تصوف ، تتخذ قصائده للغناء فى مجالسهم وله ديوان آخر اسمه (المسنوى) به الألوف من أبيات الشعر الفارسى موضوعه (محبة الروح لله وتوقها للرجوع الى مصدرها) وهو ممن يعتقدون بوحدة الوجود وقد رحل الى مدينة (قونيه) زمن السلاجقة ومات بها سنة ١٢٧٣ م وكان له عند الخلفاء العثمانيين مقام جليل

شىء من الفلسفة الصوفية

لا نعتقد أننا خرجنا عن طريق الايجاز ، إذا ما وقفنا وقفة قصيرة لنعرض عليك صورة مصغرة للفلسفة الصوفية ، فقد تفيد كثيرا فى فهم كثير من أسرار هذا المذهب الاسلامى الذى تشعبت طرقه ، وتكاثرت فروعه .

فلديهم ما يسمونه (طريق الوصول الى الله) وهم يصِفون من قطعه (بالواصل) ومن يسلكه (بالسالك) ومن يعاهده الناس على طريقته (بالمسلّك) ويسمون السيرفيه سفرا أو حجا ، ولهذا السفر أو الحج عندهم (مقامات) هي : التوبة ، والورع ، والزهد ، والفقر ، والصبر ، والتوكل ، والرضا ، وكل مقام منها محتاج إلى مجهود وطول منازعة لأهواء النفس ، ولابد للسالك فى (نظرهم) من شيخ يهديه الطريق ، وإلا كان سعيه قليل الثمرة

وفى مقام الورع يختص المرء نفسه بخدمة غيره من الناس مبالغة فى قهر

(١) ببلاد الافغان

النفس و إخماد شرتها ، و إفناء إرادتها ، وشغلا للعواطف فلا تنصرف إلا إلى الله .

وفى مقامى الزهد والفقر يصرف نفسه عن الملذات ويجعل شعاره (قلب فارغ ويد فارغة)

وفى مقام الصبر يعذب نفسه ظنا منه أنها تحول بنزعاتها دون معرفته واجب الوجود

وفى مقام التوكل يجرد نفسه من ارادتها ، ويستسلم ويتغافل عن مستقبله

وفى مقام الرضا تتم راحة النفس ويغشاه نوع من الطمأنينة والسلام ويسمى (واصلا)

ولديهم نظرية (مذهب الاشراق) يعنون به أن المرء إذا خلصت نفسه من الشوائب ، وتجرد من كل شىء سوى الله ، أشرق فى قلبه نور اليقين ، فلا يكون للشيطان محل يوسوس به فى القلب ، ويفنى عن كل شىء حتى عن نفسه فلا يشعر بشىء سوى الله

وطريق الوصول إلى هـذه المنزلة تكون بالوجد والحبور والفناء ، والسماع ، والجـذبة ، والسكْر ، والحال ، ويقصدون بالسماع أن الصوفى يستطيع تكاف الوصول إلى درجة الإشراق بكثرة الذكر ، والاستعانة بالموسيقى ، وآلات الطرب ، والتوقيع ، وبالفناء انعدام الشهوات والرغائب وبفناء الفناء انعدام التفكير فى الوعى حتى لايحس أحدهم بأنه فى حالة الفناء ويفقد شعوره

وعندهم نظرية (المعرفة) يريدون بها (معرفة الله) وتكون باشتغال القلب والروح والسريرة بالله جل وعلا ، فيحصل من كل ذلك العرفان ، والمحبة ، والتأمل . وفى هذه المنزلة ينتصر (العارف) على جميع وساوس الشيطان

ثم عندهم نظرية (الحب الإلهى) والهيام بالذات الإلهية ، وتفهم معنى ذلك مما قرأته أول الكلام على الصوفية من كلام (رابعه) و (ابن الفارض) وقيل إنهم لجئوا إلى هـذا النوع ، وأفرطوا فى عبارات (العشق والخمر والتغزل) حفظا لأسرارهم ، واستتارا وراء الرموز كما يشير إلى ذلك (سيدى محيى الدين بن العربى) إذ يقول (ليس فى مستطاع العارفين إيصال شعورهم إلى غيرهم ، وغاية مافى هذا المستطاع هو الرمز عن تلك الظواهر لأولئك الذين أخذوا فى محاربتها)

وقد جعل (عفيف الدين التلمسانى) مراحل التصوف أربعا : —

الأولى المعرفة وتنتهى بالفناء ، والثانية حالٌ تبدأ حيث ينتهى الفناء ويعقبه البقاء وهنا يسمى السالك حقا (وليس بالحق) ثم يصل إلى درجة (القطب) أو (الانسان الكامل) والثالثة توجه السالك إلى المخلوقات للهداية والارشاد إلى طريق الدين ، وسلوك السبيل ، والرابعة (الموت) ويعنون به انغمار الصوفى فى الصفات الربانية والأنوار الالهية ، فيطالع الله فى مرآة نفسه

ومن هنا انجر بعض القوم إلى القول بالحلول ووحدة الوجود ، وستعلم الحكم فيما نسب إلى بعض الصوفية من القول بهما فى الكلام على وحدة الوجود ، والحلول

وحدة الوجود

مذهب أحدثه متأخرو الصوفية المتكلمون بالكشف وفيما وراء الحس كما نص عليه ابن خلدون فى المقدمة ، ولعل أحسن طريق فى بيان معناه ، والرد عليه أن نلخص عبارة لعبد الغنى النابلسى فى كتابه (إيضاح المقصود فى معنى وحدة الوجود) الذى بدار الكتب الملكية ثم نرد آراءه بما يوافق

الحق عند أهل السنة ، ثم نلخص الرد عليه آخر المبحث وفي ذلك من الانصاف والوصول الى الحق ماتطمئن اليه النفوس : —

١ — قال النابلسى (ان جميع العوالم كلها على اختلاف أجناسها وأنواعها وأشخاصها موجودة من العدم بوجود الله تعالى لا بنفسها ، محفوظ عليها الوجود فى كل لحة بوجوده تعالى لابنفسها ، واذا كانت كذلك فوجودها الذى هي به موجودة فى كلٍّ هو وجود الله تعالى لاوجودٌ آخر)

ونرد عليه بأننا لا ننكر أن العوالم موجودة بوجود الله تعالى (أى بقدرته وارادته) فهو مفيض الوجود عليها ، إلاّ أن وجوده قديم لا نهاية له ، ووجودها حادث له مبدأ ونهاية وفرق بين وجود قديم لا افتقار فيه ولا نهاية له ووجود طارئ يلحقه الفناء والنهاية ، فكيف يسوى العقل بين وجودين اختلفا فى الحقيقة ؟ وقد أثبت الدليل العقلى أن وجود العالم طارئ وأن لابد له من موجد ، وان ذلك الموجد لا يكون من جملة الممكنات ولن يكون الا واجب الوجود ومتى ثبت ذلك كان الواجب غير الممكن ، فيكون وجود الواجب غير وجود الممكن بالبداهة

٢ — ويقول : (فالعوالم كلها معدومة من جهة نفسها ، بعدمها الاصلى وأما من جهة وجود الله فهى موجودة ووجودها الذى هى به موجودة ، وجود واحد وهو وجود الله تعالى فقط . لا وجودٌ لها من جهة نفسها)

ونحن نقول له : إن عاقلا لا ينازع فى كونها (ممكنة لاتقتضى ماهياتها وجودا ولا عدما) وتلك طبيعة الممكنات ، ولكن ليس معنى ذلك أن يكون من رجح وجودها على عدمها مساويا لها فى ماهية الوجود ، بل المنطق يقضى بأن يكون ذلك المرجح أسمى منها فى رتبة الوجود ، ولا يكون ذلك إذا قلنا بما يقوله (أولئك الناس) من تساوى الله تعالى والحوادث فى معنى

الوجود ولو كان الأمر كما ذهب اليه لكان فى استطاعة حادث أن يحفظ الحياة على نفسه أو على من يود، أو أن يفيض منها جزءا على سواه، ما دامت ماهية وجوده نفس ماهية وجود الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، أما إذا أراد أن وجودها مسبب عن الله تعالى فلا ننازعه فى ذلك، ثم نقول له إن السبب غير المسبب والعلة غير المعلول، وصانع الشىء غير ذلك الشىء بالضرورة

٣ — ثم قال: (وليس المراد بوجودها الذى هو وجود الله تعالى عين ذواتها وصورها بل المراد ما به تلك الذوات والصور ثابتة فى أعيانها وما ذلك الا وجود الله تعالى، وأما ذواتها وصورها من حيث هى فى نفسها بقطع النظر عن إيجاده له بوجوده فلا وجود لأعيانها أصلا)

ونحن نقول له إن إنكار وجود الذوات والصور نوع من السفسطة ومكابرة فى المحسوس وان العقل والحس يجزمان بوجودها ثم يتولى العقل إثبات أن ذلك الوجود ليس لها من حيث هى وانه ما دام كذلك فهو وجود للغير، وذلك لاينفى وجودها ولكن يؤيد ما قدمنا من أن الوجود للغير غير الوجود للذات

٤ — ثم قال (إن الوجود الحق عين ذات الحق تعالى وهو وجود واحد لا ينقسم ولا يتبعض ولا يتجزأ ولا ينتقل، ولا يتغير، ولا يتبدل أصلا، وهو مطلق عن الكيفيات، والكميات، والأماكن، والأزمان، والجهات، ولا يتصور فيه (الحلول) فى شىء إذ ليس معه شىء سواه، و (لا يتحد مع شىء) وإنما جميع الأشياء موجودة بوجوده الذى هو عين ذاته)

ونحن نقول: إن كون الوجود عين الموجود، وكونه مطلقا، لاينقسم

ولا كيفية له ، ولا يحده زمان ولا مكان الخ ما وصف به وجود الله ، ان هذا أمر لا ينفعه فى مذهبه ، ولا يليق بوجود غير وجود الله وهل تسوى هذا الوجود (وتلك صفاته) بوجود الكائنات الذى حصل بعد عدم وهو عرضة فى كل آونة للفناء والاضمحلال ، ومحدود بأزمنة وأمكنة ومصور بكيفيات خاصة ، وكميات محدودة ؟ وكيف وقد أثبت أنه لا يتحول ولا يتبعض الخ يجيز له المنطق أن يحله فى خلق ضعيف ، يتنافى فى صفاته مع كل ما وصف به الوجود الأزلى من الصفات ؟

٥ — ويقول محاولا الاستدراج إلى مذهبه (القائلون من علماء الكلام بأن الوجود اثنان : قديم وحديث مرادهم بالوجود الحادث نفس أعيان الذوات والصور فقط ، ولهذا كان مذهب الأشعرى بأن وجود كل شىء عين ذات ذلك الشىء ثم يقول (فمن فسره بذلك يرد القول بوحدة الوجود)

ونحن نقول أن أحدا ممن يقول برأى (الأشعرى) رحمه الله لا يقول (بوحدة الوجود) بل إن (الأشعرى) نفسه ما كان زعيم أهل السنة إلا بتصديه للرد على مثل (وحدة الوجود) فأنه يقرر أن وجود الله تعالى قديم أزلى ، ووجود الحوادث حادث فان ، وماداما مختلفين فى الماهية والأوصاف يستحيل عند العقل أن يكونا شيئا واحدا ، بل الآخذون برأى (الاشعرى) أولى أن يتشبثوا بنفى (وحدة الوجود) لأن وجود الحوادث على هذا الرأى هو عين ذواتها ومحال أن يتصوروا مساواة أعيان الحوادث لمن خلقها واتحادها بمن أوجدها(١)

(١) الأشعرى رحمه الله يقول بذلك وحجته أنه لو كان الوجود غير الموجود يكون اما موجودا فيحتاج لموجد فيحصل الدور أو التسلسل واما معدوما فيلزم وصف الشىء بنقيضه

مما تقدم وضح لك معنى (وحدة الوجود) في زعم بعض الصوفية ، واستبان لك أنه لا دليل لهم على ما يدعون ، وإليك أدلة أخرى على بطلان هذه الدعوى : —

١ — اننا نرى الأشياء تنعدم بعد وجودها ، فوجودها صائر الى الفناء ولا يمكن بعد هذه المشاهدة أن يكون وجودها نفس وجود الله ، وإلا جاز أن يلحقه أيضا الفناء

٢ — إنه يلزم من القول (بوحدة الوجود) نفى التكاليف ، لأنه لا معنى لها ما دام القوم يقولون إنه لا موجود سوى الله ، وكيف يتصور أن يرسل الله رسلا أيرسلهم من نفسه إلى نفسه ؟ ! وكيف يكون من خلقه البر والفاجر ؟ (سبحانك هذا بهتان عظيم)

وكيف مع هذا يحاسب الله خلقه ويعاقبهم وهم (فيما زعموا) لا وجود لأشخاصهم ، ثم وجودهم فوق ذلك نفس وجود الله ؟ !

٣ — وانه لو كان الأمر كما قالوا لكان فى الله تعالى نقص أى نقص . فان العالم مملوء بالنقائص والشرور ، وهم ينزهون الله عن كل النقائص

وقال الفخر الرازى وجماعة من المتكلمين : إن الوجود غير الموجود لان الوجود صفة وهي مغايرة للموصوف ، ووجود الله معلوم لنا وذاته الموصوفة بالوجود غير معلومة ولو كان الامر كما قال الاشعرى لكانت ذاته معلومة كوجوده ، وقالت طائفة من الفلاسفة ان وجود الواجب عينه لئلا تتعدد القدماء أما وجود الحوادث فغيرها وقال بعضهم إن الخلاف فى اللفظ فقط فمراد الأشعرى أن الوجود ليس زائدا فى الخارج بحيث تصح رؤيته كالسواد والبياض وهذا لا يمنع أن بين الموجود والوجود مغايرة فى المعنى وهو مراد مخالفى الاشعرى . قال في شرح المقاصد وما أغرب حال الوجود ! أقرب الاشياء وأشهرها مع تشعب مباحثه وكثرة اختلاف العقلاء فيه

والشرور فلا معنى لأن يجعلوا الخلق عـين الحق فيعرضوا ذاته العلية بذلك إلى النقائص (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا)

هذا : وللقوم عبارات ينبغى أن أسرد منهـا شيئا ليقف القارىء على معانيهم ومقاصدهم فمنها :

(الحق مشهود ، والخلق موهوم) سريان الهوية الالهية فى الموجودات أوجب سريان جميع (١) الصفات الالهية فيها : من الحياة ، والعلم ، والارادة والقدرة ؛ لكن ظهر ذلك فى بعضها بكل ذلك كالـكُمَّل . والأقطاب ولم يظهر فى البعض الآخر فسمى حيوانا ، والبعض جمادات

تجلَّت (تجلِّيها الوجودُ) لناظرى ففى كل مرئى أراها برؤيتى

ان كل فعل شاهدته فى كل مظهر فهو فعل الواحد الحق ، الأحد الصمد)

تجلى حبيبى فى مرائى جماله ففى كل مرآى للحبيب طلائع (٢)
فلمـا تبدَّى حسـنه متنوعا تَسَمَّى بأسماء فهن مطالع
وفى فيه من روحى نفخت كفاية هل الروح إلا عينه يا منازع
فيا أحدِيّ الذات فى عين كثرة ويا واحد الأشياء ذاتك شائع
قطعت الورى من ذات نفسك قطعة ولم تك موصولا ولا فصل قاطع
أنا الحق والتحقيق جامع خلقه أنا الذات والوصف الذى هو تابع

(١) والمقرر عند أهل السنة أن الله واحد فى صفاته فليس لأحد صفة تشبه صفاته إذ صفاته قديمة وصفات غيره حادثة ، واعتبر ذلك فى علم الله تعالى الذى أحاط بكل شىء وعلم الانسان الذى يقف امام الحقائق حائرا عاجزا

(٢) من قصيدة للشيخ عبد القادر الجيلانى من أئمة الصوفية عنوانها (النوادر العينية فى البوادر الغيبية) فى ٥٣٤ بيتا

وهم يسمون هذا وأشباهه (علم الحقيقة) وأشار اليه الامام الغزالى[1] فى كتبه وقال فى كتابه (مشكاة الأنوار)

(العارفون بعد العروج على سماء الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا فى الوجود الا الواحد الحق ، واستهوت عقولهم الفردية ، فصاروا كالمبهوتين فيه ، ولم يبق فيه متسع لذكر غير الله ، ولا لذكر أنفسهم أيضا فسكروا سكرا وقع دونه سلطان عقولهم ، فقال بعضهم (أنا الحق) وقال الآخر (سبحانى) وقال غيره (ما فى الجبة غير الله) فلما خف عنهم سكرهم وردو إلى سلطان العقل عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد ، بل يشبه الاتحاد مثل قول العاشق

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان سكنا بدنا
فاذا أبصرتنى أبصرته واذا أبصرته أبصرتنا

وهى حال الفناء لأن صاحبها فنى عن نفسه وفنى عن فنائه

وأنت ترى أن الغزالى ينسب ماوقع منهم الى ذهاب سلطان عقولهم وفنائهم فى حب الله تعالى والغزالى من كبار أئمة أهل السنة

ويقرب مما ذهب اليه الغزالى قول أبى مدين التلمسانى :

الله قل وذر الوجود وما حوى إن كنت مرتادا بلوغ كمال
فالكل دون الله (ان حققته) عدم على التفصيل والاجمال
واعلم بأنك والعوالم كلها لولاه فى محو وفى اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته فوجوده لولاه عين محال
والعارفون فنوا به لم يشهدوا شيئا سوى المتكبر المتعالى

(١) أبو حامد محمد بن محمد الغزالى الطوسى علامة زمانه فى الفقه والكلام والمنطق كانت وفاته سنة ٥٠٥ هـ فى (طوس)

ورأوا سواه على الحقيقة هالكا في الحال والماضي والاستقبال

ومع ما اعتذر به عنهم الامام الغزالى وغيره ، وعدم ما يصدر عنهم نوعا من (الشطح) المصطلح عليه عندهم فقد قال العلامة الأمير فى حاشية الجوهرة (ذهب بعض المتصوفة والفلاسفة الى أنه تعالى الوجود المطلق وأن غيره لا يتصف بالوجود أصلا حتى إذا قالوا ان الانسان موجود فمعناه أن له تعلقا بالوجود وهو الله تعالى وهو كفر ولا حلولَ ولا اتحاد ، فان وقع من أكابر الأولياء ما يوهم ذلك أول بما يناسبه كما يقع منهم فى وحدة الوجود ، كقول بعضهم (ما في الجبة إلا الله) أراد ما فى الجبة بل والكون كله لا وجود له إلا بالله)

ثم قال (وذلك اللفظ وان كان لا يجوز شرعا لايهامه لكن القوم تارة تغلبهم الاحوال) ..

ونقل أن (الحلاج) قال (أنا) وفيه بقية مامن شعوره بنفسه ، ثم فنى بشهوده فقال (الله) فهما كلمتان فى مقامين مختلفين ولكن أفتى بقتله (الجنيد)[1] سلطان الصوفية عملا بظاهر الشريعة الذى هو أمر الظاهر الباطن

الحلول

الحلول دعوى من أخطر الدعاوى التي ظهرت فى الاسلام قال بها قوم من غلاة الروافض من السبئية ومن ماثلهم ، ومعناه (كما فى الطوالع) « قيام موجود بموجود على سبيل التبعية » وهو محال على الله تعالى لأنه لايمكن حلول القديم فى الحادث لاختلاف ماهيتَى القديم والحادث ، ولأن الحلول يجعل الحال تبعا لما حل فيه فلا يتيقن الحالُّ إلا بتوسط المحل فيكون الحالُّ معلولا له ومتأثرا به وهذا ينافى وصف الله تعالى بكونه واجبا لذاته

---

(١) هو أبو القاسم سعيد بن عبيد الملقب بالجنيد

ولأن الحلول إن كان حلول عرض فى جوهر فواجب الوجود ليس عرضا وان كان حلول جوهر فى جوهر فليس الله تعالى جوهرا ولأن الحلول ومثله الاتحاد بين الممكنين محال ، إذ لا يمكن أن يصير رجلاز رجلا واحدا لتباينهما فى الذات . فالتباين بين واجب الوجود وبين الممكن أعظم وأولى لتباين الماهيتين فى الواجب والممكن .

وفى هذا القدر كفاية لابطال هذا المذهب ، وقد عد بعض المتكلمين والفقهاء فئة « الحلاجية » من الحلولية وهم منسوبون إلى (الحسين بن منصور) المعروف (بالحلاج) وهو من مدينة (البيضاء) بفارس كان متصوفا ناسكا يتكلم بما يسمى لدى الصوفية (بالشطح) وهو الكلام الذى يحتمل معنيين (حسن ومذموم) وزعم من عده حلوليا أنه قال : « من هذب نفسه فى الطاعة وصبر على اللذات والشهوات ارتقى إلى مقام المقربين ثم لايزال يصعد ويرتقى فى درجات المصافاة حتى يصفو عن البشرية فاذا لم يبق فيه من البشرية حظ حل فيه روح الله الذى حل فى عيسي بن مريم ولم يُرد حينئذ شيئا إلا كان كما أراد وكان جميع فعله فعل الله » ومن عده من المتكلمين حلوليا حكم بكفره وقد برأه فريق من المتكلمين بالبصرة ونسبوه الى حقائق معانى الصوفية واختلف الفقهاء والصوفية فيه كما اختلف المتكلمون ، وقيل أنه استمال إلى رأيه جماعة من حاشية الخليفة (جعفر المقتدر بالله) فقتله وصلبه عند جسر بغداد سنة ٣٠٩ هـ ثم أحرقه ونثر ترابه فى دجلة ؛ والذين حسنوا الظن فيه وبرءوه من دعوى الحلولية التى قال بها ابن سبأ ومن اليه احتجوا بأنه قال حين قطعت يداه ورجلاه (حسب الواحد إفراد الواحد)

التناسخ

معناه انتقال الروح بعد الموت من جسد الى جسد ، وقد قال بهذا طوائف قبل الاسلام وبعده ، فالذين قبل الاسلام من الفلاسفة والسُّمَنية(١) وغيرهم قالوا بتناسخ الأرواح فى الصور المختلفة وجوزوا أن ينقل روح إنسان الى كلب أو العكس ، وزعموا أن من أذنب فى قالب (جسد) ناله العقاب على ذلك فى قالب آخر ، وقال (مان الحكيم) رأس المانوية : إن أرواح أهل الضلال إذا أرادت اللحاق بالنور الأعلى ردت إلى أسفل فتنتقل فى الحيوانات حتى تطهر ثم تلحق بالنور العالى — وممن قالوا به بعد الاسلام (عبد الكريم بن أبى العوجاء) الذى اجتمعت فيه صفات معظم الفرق فقد كان يرى رأى المانوية ويقول بالتناسخ ويميل الى الامامية من الشيعة ويقول بالقدر وهو من وضاع الأحاديث وقتله أبو جعفر المنصور وقال عندما قدم للقتل : لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحللت بها الحرام وحرمت الحلال وفطرت فيها الرافضة فى يوم من أيام صومهم وصومتهم فى يوم من أيام فطرهم ، ومنهم البيانية (من غلاة الرافضة) القائلون بأن روح الله دارت فى الأنبياء حتى صارت فى بيان بن اسماعيل

ومن القائلين بالتناسخ أحمد بن حائط (المعتزلى القدرى) زعم أن الروح لا يزال يتكرر فى هذه الدنيا فى صور مختلفة ما دامت طاعاته مشوبة بذنوبه وعلى قدر ذنوبه وطاعاته تكون منازل قوالبه فى الانسانية والبهيمية فاذا ما تمحض عمل الحيوان طاعات رد إلى دار النعيم التى فيها خلق ، واذا ما استحالت أعماله معاصى نقل الى النار يصلى عذابها الدائم ، وعلى هذا المحور تدور أقوال القائلين بالتناسخ كالقرامطة . وأبى مسلم الخراسانى

(١) السمنية قوم من الهنود يقولون بقدم العالم ، وأنه لا موجود إلا من طريق الحواس

وكلها كما يظهر مماسبق ترجع الى فكرة الثواب والعقاب

ومنع بعض القائلين بالتناسخ أن يكون انتقال الأرواح من الانسان الى غيره من الحيوان وجعلوه يدور بين أفراد النوع الانسانى وحده. وهم من الدهريين القائلين بعدم تناهى العالم فالارواح تتردد فى الاجساد أبدا ولا تنتقل الى غير جنسها الذى لها بطبعها الاشراف عليه

ونجمل الرد على هذا المذهب فيما يأتى: —

١ — نقول للفرقة المنتسبة للاسلام ان أهل السنة مجمعون على تكفيرهم ثم انهم يقولون إن مدار مذهبهم الثواب والعقاب مع أن الشرع الذى ينتسبون اليه لم يجعلهما على الصورة التى فرضوها بل جعلهما بالعذاب والنعيم فى البرزخ (١) ثم بالجنة أو النار بعد الحساب فى اليوم الآخر بعد احياء الأجساد وإلباسها الارواح — ولا حجة لهم كما توهموا فى قوله تعالى (فى أى صورة ما شاء ركبك) وقوله جل شأنه (جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه) فمعنى الصوره في الآية الأولى — كما هو واضح — تلك التى ركب عليها الانسان من طول أو قصر وحسن أو قبح وسواد أو بياض الى غير ذلك، ومعنى الثانية أن أن الله تعالى يعد مننه على بنى آدم بأن خلق لهم أزواجا من أنفسهم وأصنافا من الانعام ينتفعون بها، ثم بين أنه يذرؤهم أى (يكثرهم ويبثهم) فى هذا التدبير (أى بسببه) وهوأن جعل لكل من الناس والانعام أزواجا يكون بين ذكورها وأناثها التوالد والتكاثر، وبدهي أن أزواج بنى آدم التى يكثرون بها لا تكون إلا من النوع الانسانى اذ لا يتصور العقل أن يكون للانسان أزواج يتوالد النسل فيها من الانعام، هذا هوالمعنى الذى تصرح به اللغة والدين والعقل لا ما ادعاه أولئك المبطلون ممن حملوا اللفظ مالا يطيق ليوافق هواهم، وليلبسوا به على العامة دينهم

(١) هو الوقت الذى بين الموت والقيامة — والأصل فيه الحاجز بين الشيئين

٢ — ثم نقول للدهريين إن دعواهم لا تعتمد على برهان حسى أو عقلى وقد قامت الادلة على حدوث العالم وما كان حادثا فلا بد له من نهاية واذ تقرر ذلك انتفى زعمهم الذى بنوه على اعتبار أن العالم قديم لا يتناهى على أنه لم توافقهم نبوة مافى زعمهم هذا والنبوات جاءت لارشاد العقل البشرى إلى المعارف الدنيوية والأخروية لما ثبت قصوره عن ادراكها

٣ — ونقول للدهريين أيضا ولمن انتسبوا الى الاسلام من القائلين بالتناسخ إن تساوى نفسين فى جميع الخصائص أمر غير ممكن فليس فى العالم كله شيئان متشابهان تمام التشابه من جميع النواحى بجميع الاعراض كما يرى من يتدبر الصور والهيئات والاخلاق، واذا قيل هذا شبيه هذا فانما المعنى أنه مثله فى أكثر الاحوال لا فى كلها ، ونحن نعلم أن الاخلاق تتباين والاخلاق محمولة على النفس التى هى محل لها . ومتى تباينت الاخلاق تباينت النفوس من ناحيتها — واذا تباينت النفوس كانت نفس كل بدن من الابدان من أى نوع كان خلاف التى فى غيره من أبدان ذلك النوع بالضروره ، وإذاً يبطل القول بانتقال نفس من بدن هى مستعدة له إلى آخر من نوع ذلك البدن تصلح له نفس أخرى له خصائصها وأخلاقها

٤ — ثم نقول لمن يقولون من الفلاسفة وغيرهم بجواز انتقال الروح من بدن الى آخر ولو لم يكن من نوعه ، انه اذا ثبت عدم اتفاق نفسين من نوع واحد فى كل الخصائص فعدم الاتفاق بين نفوس الانواع المختلفة أولى واذن لامعنى لأن تقوم نفس من نفوس الانسان بتدبير بدن حيوان آخر لم يكن فيها استعداد لتدبيره ، ومن العجب أن يقول السمنية بذلك وهو أمر لا يدرك بالحواس مع أن مذهبهم أنه لا يوجد معلوم إلا من طريق الحواس !

٥ — وأخيرا نقول ان الله خلق الاجناس ورتب تحتها الانواع وميز كل نوع بفصل خاص لايشركه فيه سواه من أفراد النوع الآخر ، فالانسان ميزه عن القرد بالعقل والنطق وهكذا سائر الانواع تميزت عن غيرها بصفة خاصة . وما هذه الفصول والصفات بخصائص لأبدان الانواع وانما هى للنفوس التي هى أرواحها المدبرة لها

وعلى هذا تكون نفس الانسان ناطقة ونفس الحيوان غير ناطقة فالنفسان مختلفتان بلا ريب واذن لاسبيل لأن تنقل نفس ناطقة الى محل نفس غير ناطقة أو العكس والا انتقضت الأشياء على حقائقها وبطل أثر الحس وبداهة العقل وانقسمت الأشياء على حدودها

ومن كل هذا ثبت بطلان التناسخ بالشرع والعقل والحس المشاهد ؟

والحمد لله أولا وآخراً



فهرس الكتاب

مراجع هذا الكتاب

١ — الفِصل فى الملل والنحل : لابن حزم

٢ — الملل والنحل : للشهرستانى

٣ — الكامل : للمبرد

٤ — تاريخ الكامل : لابن الأثير

٥ — الفرق بين الفِرق : للبغدادى

٦ — خبيئة الأكوان : لصديق خان (ملك بهوبال)

٧ — ملخص تاريخ الخوارج : للمرحوم الشيخ محمد شريف

٨ — مقدمة ابن خلدون

٩ — تاريخ التصوف الاسلامى : للأستاذ عبد اللطيف الطيباوى

١٠ — أدب الجاحظ : للأستاذ حسن السندوبى

١١ — دائرة المعارف : للأستاذ فريد وجدى

١٢ — تنزيهَ الاعتقاد عن الحلول والاتحاد : للجلال السيوطى

١٣ — إيضاح المقصود عن معنى وحدة الوجود : لعبد الغنى النابلسى

١٤ — مجلة نور الاسلام (العدد الخامس : المجلد الأول) لفضيلة الأستاذ الشيخ « محمد الخضر حسين »

١٥ — رسالة التوحيد : للامام الشيخ « محمد عبده »

١٦ — تلخيص المحصل : للفخر الرازى

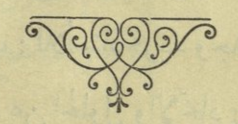
١٧ ــ حاشية الجوهرة : للعلامة الأمير

١٨ ــ حاشية الخريدة : للعلامة الصاوى

١٩ ــ دلائل التوحيد : للقاسمى الدمشقى

٢٠ ــ كلمة التوحيد : لفضيلة الأستاذ الشيخ حسين والى

هذا ولا أنسى فضل أستاذىَّ الجليلين : الشيخ أحمد الاسكندرى ، والشيخ محمد فخر الدين الأستاذين بدار العلوم ، فقد كان لارشادهما أثر كبير فى اتجاهي الى تأليف هذا الكتاب ، من أحسن المظان ، وأصدق الآراء ؟



الخطأ والصواب

ا — أرجو حذف ما طبع سهوا فى (ضرار بن عمرو) بصفحة ٢٦ (سطرى ١٧ ، ١٨ مع كلمتين فى آخر سطر ١٦)

ب — يبين هذا الجدول أخطاء مطبعية وردت فى هذا الكتاب : —

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥	١٢	المحادث	الحادث
١٢	الأخير	باستقلال	باستقلال العبد
١٤	١٢	المرسل	الوسل
٢٧	٥	أبا بكر وعثمان	أبا بكر وعمر وعثمان
٢٨	٢١	بعد ابن الحنفية	بعد أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية
٣٣	١٦	مجاعة	شجاعة
٣٧	١٨	أسود	شيوخ
٥٤	٢	أم	أو
٥٥	الأول	تبعه	تبعة
٥٥	٥	دع نا	دعونا
٥٥	٧	إذ	إذا
٥٦	٥	يقعل	يفعل
٥٨	١٧	نوره	(تحذف)
٥٩	١٠	لله	الله
٦٠	١١	حرأثا	حراثا
٦٠	١٢	مؤلاء	هؤلاء
٦٠	٢٢	بنفحة	بنغمة
٦٢	٦	بة	به

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٦٤	١٦	الاضطراب	الاضطرار
٦٩	٦	الحسن الاشعرى	أبو الحسن
٧٢	٢٣	يا ابن	يابن
٧٩	١٠	له	لها



DATE DUE



